تصميم : رفيدة مناصرة

جروب خربشة للبنات فقط

نوفيلا

قطعتك

Nor Black

نوفيلا

قطعة سكر

بقلم: نور بلال (نورا سليمان)

تصميم وتعبئة: رفيدة مناصرة

جروب خربشة للبنات فقط

https://www.facebook.com/groups/123671551591007/

دخلت بصخبها المعتاد وحقيبتها المدرسية على إحدى كتفيها. وترتدى ذلك الزي الموحد من تنورة رمادية اللون بالكاد تصل تحت ركبتيها وقميص حرير من اللون الأزرق الفاتح وجوارب بيضاء..باندفاع مرح كانت تتوجه الى مكتب والدها تتعلق في عنقه وتميل بجانب رأسها فتميل معها تلك الخصلات البنية وهي تغرق وجهه بقبلات وتخبره:

"مرحباً يا دكتور..إشتقت إليك في الساعات القليلة الماضية"

ضمها والدها من كتفيها وربت عليهما بحنانه المعتاد. يخبرها بهدوء:

"وأنا إشتقت إليكِ حبيبتي..طمئنيني كيف كان إختبارك؟؟"

إعتدلت تبتعد عنه خطوة واحدة وعيناها تلمعان بثقة وأخبرته بهدوء:

"بالطبع اجتزته بسهولة..كما أنه ليس الفيصل للتقييم النهائي لي.."

تعلقت الكلمة الأخيره علي طرفٍ فمها..عندما تجمدت عيناها وتصلب جسدها مرغما عند سماعها نحنحة رجولية خشنة قاطعت حديثها مع والدها وهو يقول:

"عفواً يا دكتور..لم أعرف أن هناك أحدُ معك"

ضمها والدها بجانبه وهو يقول:

"تعالى بُني..لا يوجد أحد غريب هنا..إنها إبنتي عبير"

تسمر ناجي مكانه أمام باب الحمام المفتوح للمكتب..وإنعقد حاجبيه وهو ينظر الى الفتاة التي تناظره بتفحص هادئ دقيق..حدقتيها اللوزتين تلمعان بثقة..شعرها يستريح على كتفيها بنعومة مثل ملامحها الأثرة للنظر..تمالك نفسه وغض بصره كعادته..تقدم خطوات ببطئ رزين وهو يقول بصوت رخيم:

"يا أهلاً وسهلاً بكِ..تشرفت بمعرفتك"

رفعت ذقنها وهي تُزين إبتسامة جميلة رزينة محياها فأصبح أكثر فتنة وهي تقول بهدوء:

"الشرف لي أنا يا سيد.."

تركتها معلقة تنتظر التعريف منه ولكنه لم يبدي أي رد فعل لمحاولة تجاذب الحديث معها..عندها أدار والدها دفة الحوار وهو يخبر عبير:

"ناجي العطار يا عبير تلميذي النجيب في كلية الحقوق..والأن يتولى تجارة عائلته في سوق (الخضروات والفاكهة)"

عادت عبير بعينيها مرغمة تتأمله بتمهل أشد..جسد فارع الطول..صدر عريض وملامح رغم جاذبيتها ولكنها بوسامة خشنة وبشرة سمراء اللون..عيون سوداء شديدة البأس رغم أنه يغضها وكانت هي الأكثر شجاعة عندما تركت والدها وإلتفت حول المكتب تقف أمامه و مدت يدها مبتسمة إبتسامة دبلوماسية.. لتخبره بتعقل لا يليق بسنها ولا تملكه الكثير من فتيات اليوم:

"تشرفت بمعرفتك سيد ناجي..وأخيراً رأيتك فأبى كان يتحدث عنك بإستمرار"

تردد ناجي لحظة واحدة لسبب مجهول أن يبادلها سلامها المرحب..ولم يجهل بالسبب كثيراً عندما رفع يده بالترافق مع عيناه بسوداها الحالك..تفحص وجه عبير ويده تتعانق مع يدها الرقيقة وهو يقول بصوت أجش:

"مرحباً..يا إبنة أستاذي الشرف لي أنا..وأرجو أن يكون ما سمعتيه عنى خير"

لم تتغير تعبيرات وجهها ولم تُبدي أي نية لترك يداه الخشنة كملامحه..تأملها مليا أثناء حديثهم القصير..الثقة والهدوء الغيرمناسبين لعمرها أثار إعجابه بالإضافة لرزانتها و حسن إدارة الحديث عندما أخبرته برقة تُذيب الحجر:

"بالطبع كل خير..وماذا كنت تظن؟! فأبى معجب بكفاحك جداً.."

أومأ ناجي بدون رد وهو يسحب نفسه بعيد عنها وينفصل عن هذا السلام الذي طال . . . عاد والدها يخبرها:

"أتى ناجي اليوم صغيرتي بعد انقطاعه الذي طال عن أستاذه ببعض أنواع الفاكهة من مزرعته مباشرة كهدية لنا . . ."

عاد ناجي ليلتفت بوقاره وهدوئه لأستاذه وأخبره بصوت جدى:

"حقك على رأسي يا دكتور ولكن كان رغم عنى فالأعوام الماضية كنت لا أستطيع تبادل الكثير من الزيارات..بسبب تجارتنا التي كادت أن تنهار بعد موت والدي وبالطبع رعاية أمى وأخواتي في الصعيد"

أومأ السيد منصور بمودة وهو يخبره:

"لاعليك..لم أغضب منك أبداً كما أنك لم تقصر في السؤال عنى بالهاتف او إرسال رجالك على الدوام. بهدايا‌ك"

إبتسم ناجي بوقارعندما لمح بطرف عينه..تململ عبير من الحديث الدائر..أخبرته بحذر:

"حسناً بما أن أبى يفتقدك وأنت على ما فهمَّت زال سبب بعادك..ستأتي لزيارتنا مرة أخرى..تلعثمت وهي تعود تصحح كلامها سريعا قائلة:

"أقصد بالطبع زيارات لأبي فهو نادر ما يرتاح لأحدٍ ما"

تنحنح ناجي مرة أخرى وهو يغض البصر عنها بإصرار ويخبرها:

"هذا أحب شيء لقلبي يا صغيرة..إن سمح لي أستاذي"

توسعت إبتسامة عبير دون سبب وهي تخبره بتعقل رغم الحماس الذي يغلف صوتها:

"بالتأكيد مسموح لك في الوقت الذي تحب وتريد ."

رفع ناجي رأسه وسمح لنفسه بتأملها..فبرغم رقة الفتاة وحماسها في الحديث إلا أن بها شيء مبهم لم يفهمه..وهالة

من الرقي ترتسم حولها طواعية..فطرق لعقله إنذار قوي وتحذير شرس..

❖إبتعد ولا تتخطى حدودك ولا تقلل من نفسك ومكانتك وكبريائك من أجل مراهقة جذابة وتجعل القلب يطرق بغصة مبهمة..إبنة أستاذك ذات الطبقة المخملية في المجتمع ❖

طفلته ووحيدته كما أخبره ذات مرة..صغيرته التي تسعى منذ الصغر لتحمل لقب طبيبة..وجهها البشوش المرحب..قلب كيانه من نظرة واحدة لتلك البندقيين الدافئتين الواثقين..كانت أكثر من تحمله فتلك الشابة الصغيرة الجذابة بتلك النظرات التي ترمقه بها كأنه كائن خيالى بماذا تفكر يا تُرى؟!وماذا تريد من تفحصها المجهول له ؟! أترى محاولتها للترحيب به تأتى من داخلها حقاً أم تحاول أن تكون مجاملة لنوع جديد من البشر لم تعرفه في محيطها..كيف تراه بعينها (تاجر خضار) وماذا قد تراه غيرذلك ثارت روحه بخشونة همس بداخله:

"تباً ولما قد يهتم..بكيف تراه وما الذي قد يريده منها أو تريده منه..تعقل يا ناجٍي..إنك أول مره تراها حتى وإن كنت سمعت عنها سابقا"

قطع هو الصمت متحدثاً بخشونة:

"أشكرك سيد منصور لتلك الدقائق كنت أشتاق لك حقاً..ولكن أعذرني الأن مازال لدي الكثير من العمل ويجب ان أنصرف"

قام منصور من موضعه يخبره بتقدير:

"بل الشكر لك ناجي ودائماً مرحب بك في بيتي دون سابق موعد حتى . . . أتمنى ألا يطول غيابك هذه المرة"

تمتم ناجي بهدوء ووقار وهو يخرج بدون إلقاء نظرة أخرى على تلك التي تجاوره وملامحها إكتستها نظرة غريبة وإنفعال أغرب عندما هم بالإنصراف..ولم يتباطئ لحظة.

□□□□□□□□□□□□

كان ناجي يهم بالمغادرة بسيارته ذات الدفع الرباعي الخاصة بنقل البضائع من المزارع الى السوق الكبير..أوقفه ذلك الصوت الناعم..يلهث من فرط الإنفعال تهتف به قائلة:

"سيد ناجي..عبائتك لقد نسيتها في مكتب والدي"

أوقف السيارة دون أن يطفئ محركها و سمح لها بالإقتراب دون أن يبدي هو أي مبادرة للنزول من سيارته..

ناولته العباءة من النافذة المفتوحة وهي تخبره بوجه بشوش:

"لما كل هذا الإستعجال الذي يجعلك تنسى أشيائك"

لم تتغير ملامح ناجي الهادئة الوقورة وهو يتناولها منها..إختصر في الحديث معها قائلا:

"العفو منك..لقد أتعبتي حالك..كان من الممكن أن تنتظر..أو ترسليها مع أحد الخدم"

عبثتٍ عبير ووجها يتغضن برفض زاد ملامحها الرقيقة جمالاً مبهم لعينيه:

"خادمة!! بالطبع لا..هذا لا يليق بك أبداً بل كان يجب أن أتي بنفسي.."

إبتسم رغماً عنه ورفع عيناه يسمح لها تطوف على وجهها بتمهل شديد..مخبرا نفسه❖ تأمل أخير لن يضر❖ لعله يعلم سر هذا الخاطر المقلق الذي يتحرك منه نحوها ولماهذه الأفكار التي لم تطرق عقله يوماً جاءت بباله الأن؟

إقتربت بدلال وإندفاع مراهقة من النافذة تمد يدها اليه تخبره:

"ودعت أبى ولم تودعني سيد ناجي وهذا أول تعارف بيننا..هل هذا تصرف متحضر من رجل أنيق"

بترفع ووجهٍ يكسوه الجمود كان يمد يده يصافحها بخشونة قائلا:

"عذراً يا صغيرة..ولكن كما ترين أنا لست رجل أنيق..صمت لبرهة وهو يرفع عيناه ليخبرها بتشدد:

"بل أنا تاجر خضروات وفاكهه..فأعذري جهلي بالأفعال المتكلفة كمن حولك"

عيناها البندقية لم تكن أقل إصرار منه وهي تناظره بقوة تخبره:

"ولكنك تظل رجل فريد لم ألتقي قط من قبل برجلُ يكافئ وصفك سيد ناجي"

إستل ناجي يده دون تعبير واضح وإبتعد بسيارته عنها بحرص الى الوراء يراقبها تُكتف يديها على صدرها وتنظر له بإصرار أشد غرابة وكأنها تتوعد له ؟!

هتف من داخل سيارته يخبرها بقوة:

"وداعاً عبير إحترسي لنفسك يا إبنة الأستاذ..نصيحه لا ترفعي التكليف بينك وبين أحد من أول لقاء دون سابق معرفه"

بصلابة كانت تهتف:

"بل الى اللقاء سيد ناجي..وأخبرتك أنكٍ لا تماثل أي أحد وأعدك أن لا أرفع تلك الحواجز مجدداً كما فعلتها الأن ولن أكررها لسواك"

فغر فاه بذهول لدقائق لتعود عيناه التي إبتعدت عنها للابتسام مخبرا نفسه بصوت:

❖ما بالها تلك الفتاة المندفعة تذيب بك شيء مجهول يا ناجي !! وما الذي يعنيه هذا؟!❖

نظر لمرآة السيارة يتطلع لملامحه الخشنة عاقدا حاجبيه..ترى ما الذي يجعلها تندفع هكذا؟!يعلم جيداً انه لا يملك تلك الوسامة التي تدفع فتاة للتهور حتى وإن كان متحفظ..إنمحت إبتسامته ويديه الخشنة من العمل المضني في الأرض منذ نعومة أظافره..نفض صورتها من أمام وجهه يعترف مرغماً:

❖ الفتاة قطعة سكر يا ناجي..تذيب أياً كان مجبراً بعدة كلمات شديدة الرقة مثلها ؟!!❖

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مر شهر لم تراه إلا مرة واحدة ولم تسمع عنه غير كلمات قليلة متحفظة من والدها لقد علمت أنه أتى مرتين..إحداهما كانت هي في مدرستها..والآخرى رفض أن يدلف الى المنزل بإصرار كما أخبرها والدها وترك بعض الأشياء لهم. وإنصرف على الفور..تذكرت إندفاعها في المرة الأخيرة عندما سمعت صوته بنبراته العميقة الخشنة وهو يهتف..بأحد الرجال أن يحترس في توصيل تلك (الصناديق الى داخل المنزل)

فإندفعت دونٍ تمهل الى الشرفة لتنظر اليه وقلبها البريء يتقافز فرحاً لرؤياه..ويتوجع ألماً من رفضه أي مبادرة للاقتراب منذ أن ألقى تحذيره في وجهها وهي علمت أنه سيحتفظ لنفسه بمسافات .بينهم..يومها رفع رأسه بعيون غامضة غاضبة لم تعرف سببها وكأنه إستشعر وجودها تطل عليه منٍ الشرفة وبحذر كان يتفحص وقفتها..أشار لها برأسه أمراً أن تدلف الى داخل الغرفة ؟! ولم تتباطئ في التنفيذ و منحه إبتسامة ناعمة تشكره لأنه منحها ذلك التواصل القصير ولم يتجنبها او يدعي عدم رؤيته لها ؟! وضعت قبضتيها على قلبها النابض المتوجع من تذكره بقوة ...

تذكرت بعدها محاولتها لفهم سبب غضبه وتحذيره!! وبذكاء إستطاعت التخمين عندما نظرت لملابسها البيتية غير المحتشمة لعينيه على ما يبدو من بنطال قصير وبلوزه عارية الأكتاف تلتصق بقدها..رفعت يدها تحاوط وجهها المشتعل بالخجل..إندفاعها نحوه يجعلها تفقد كل تركيزها وحذرها المعتاد..ما الذي في هذا الوحش العنيد يجعلها تنجذب اليه بل وتفتقده هكذا؟! همست وإحدى يديها تحيط وجهها و الأخرى تحتضن بها الجنون المدوي لقلبها:

"مختلف بكبريائه و رزانته وإعتزازه بأصله وتضحيته بنفسه من أجل أهله"

ربما هذا ما يجعلها تصر علي الاقتراب منه وإكتشافه..لم تكن يوماً من الفتيات التي تبحث عن العشق..ولكن هذا الرجل يُعشق دون وعى

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دلفت عبير الى غرفة الإستقبال..بهدوء تجاور والدها الذي يمسك بين يديه إحدى الكتب ومنهمك في قرأتها . . .

جلست بجانبه ورفعت إحدى يديه وحاوطت بها كتفيها وإندست في صدره..تسأله:

"ماذا تقرأ أستاذى العزيز ؟؟"

أبتسم والدها وهو يزيح الكتاب جانبا..ويلتفت اليها وهي ساكنة تحت ذراعه وسألها:

"كتاب في التشريع صغيرتي..لن يثير فضولك..والأن أخبريني أنت ما الذي جعلك تتركين دراستك وتأتين الأن لتجالسيني"

شردت عينا عبير وهي تندس في حضن أبيها الحنون أكثر تخبره:

"لا أعلم..ولكنِ لم أستطع التركيزِ منذ ساعة مضت..فأخذت قراري أن أجلس معك قليلا"

رفع والدها إحدى يديها وملس على شعرها بهدوء وهو يقول:

"وما الذي يشغل بال صغيرتي ؟؟"

إعتدلت عبير بجلستها لتبتعد عن والدها وهي تخبره بحيرة متلعثمة:

"لا أعلم..بعض الأفكار فقط..تأتي في عقلي بتخبط"

تفحصها والدها بهدوئه المعتاد حاول سبرِ أغوارها..ربما يستشف أي شيء من تخبطها الجديد كليا عليه وغرابة أفعالها التي تتضمن شرودها الدائم فأخبرها بوقار وتفهم:

"تعلمي أني ربيتك على المصارحة بما تريدين دائماً لأرشدك الى الطريق الصحيح"

دقائق كانت تنظر له عبير بحيرة قاتلة وخجل بأن تسأل عن خشن الطباع المتجهم الذي يشغل عقلها وكل كيانها..فقط تريد أن تفهم لما يبتعد عن أي تصادم بينهم

؟ولماذا حاول التقليل من مكانته وإنكار أنه ذوشهادة جامعية بل أصر على حصر نفسه في مهنته فقط . . .

بتردد محتار جلست على الأرض تحت قدمي والدها..لتريح رأسها على ركبته كعادتها منذ طفولتها..خرجت منها تنهيدة مثقلة وهي تقول:

"لدي بعض الأسئلة عن شخص أثار فضولي..فهل ستسمعني دون أن تحكم على سبب فضولي؟"

ضحك والدها ويده تمتد مرة أخرى يربت على رأسها بحنان وسألها:

"أخبريني ما لديك يا صغيرتي دون تردد،ومنذ متى الأستاذ منصور يطلق أحكام دون إلمامه بكل الأدلة ؟!!"

ضاقت عيني عبير البندقيين وهي تقول ببطئ مختصر:

"ناجي!"

إرتفع حاجبي منصور وهو يسألها بحذر:

"ناجي العطار"

تنهدت بخفوت وأومأت برأسها موافقه..

أردف والدها..بذات الحذر المتمهل:

"ما به صغيرتي ؟..ما الذي تريدين أن تعرفيه عنه؟"

إنها تخوض في أرض حذرة..لم ترفع رأسها عن ساقي والدها وهي تخبره:

"أنا أتذكر كل ما أخبرتني عنه من كفاحه وتفوقه الدراسي حتى أنك كنت تدفعه وتدعمه..ليصبح خليفتك في الجامعة أو حتى مكتبك الخاص..ولكنه رفض بسبب عائلته أو شيء كهذا"

بهدوء أجابها والدها:

"هذا صحيح.."

رفعت رأسها عن ساق والدها فجأة وجلست أمامه أرضا وهي تتربع وتكتف ساقيها بشكل متداخل بين بعضهما وسألته متحيرة:

"اذاً لماذا حاول إقناعي بأنه لا يملك شهادة علمية ؟!ولما كان مُصرا أنه مجرد تاجر يقل عنا مكانه ؟"

أزاح منصور نظراته وضغط ما بين عينيه بقوة يحاول أن يفهم سر إهتمام إبنته الذي شعر به منذ أول مقابلة لها مع ناجي..تذكر وجه ناجي المتجهم غامض الملامح وهو يغادرهم وتعجب هو الأخر من رد فعله ومحاولة حشر نفسه..في خانة التجارة فقط . . .

لم يبخل عليها بالإجابة وهو يراقب كل إنفعالتها بصبر قائلا:

"لا أملك إجابة وافية عن سؤالك يا عبير ولكن..ما أستطيع إخبارك به أن ناجي رجل يحمل من الإخلاص والوفاء ما لم ألمسه في أى شاب قابلته في عمره..ربما لا يتجاوز عمره الثامنة والعشرون بعد ولكن..بما يحمل على عاتقه من

مسؤولية ويجيد إدراتها بحنكة يجعله يفوق رجال تتعدى الستين ..."

صمت والدها للحظات ليخبرها بصوت أجش مترفق:

"لقد أخبرتك سابقاً أنه لفت إنتباهي منذ أول يوم له في محاضراتى ببأسه الشديد وتحفظه المترفع عن كل من حوله من صخب بين الشباب..أصوله العريقة كانت تنضح من كل فعل يقوم به..كبريائه على مر الأربع سنوات الذي لم يستطع أحد مسه..في إعتقادي صغيرتي..ربما سبب فعلته معك أو مع غيرك أنه لا يريد المجازفة أبدا بكرامته مع أي بشر..يضع حدود لنفسه ولا يتخطاها..ليظل رأسه مرفوع دائما..ولا يستطع أياً كان أن ينظر له نظرة متدنية"

هزت عبير رأسها برفض وهي تقول بإندفاع:

"ولكن أنا لم أمس هذا الكبرياء بل رحبت به وهو زاد شراسةً في إخبارك عن طبقات لا أفهم معناها حتى شعرت أنه حقا أقل مكانه منا"

سريعاً كان والدها يخبرها بهدوء محذر:

"إياك أن تُصرحي بهذا الإختلاف الذي شعرتي به من رد فعله أمامه..فناجي العطار من أكبر عائلات الصعيد و له هيبته ومكانته وسط عائلته..كل ما هناك ان تلك الطبقة الكادحة صغيرتي تعتقد أن طبقتنا المخملية تنظر لهم كأنهم أقل مكانة منا أو أن مهنهم تحصرهم في خانة معينة..وهذا ما يرفضوه بكل شموخ."

تنهدت عبير وهي تقول بخفوت:

"ولكن نحن لسنا منهم أليس كذلك"

أومأ والدها وهو ينحني يوازي رأسها المرفوع اليه بإهتمام لإجابته بعيونها التي يملئها التخبط المتضامن مع الحيرة:

"بألتاكيد صغيرتي..نحن لسنا منهم بل أتمنى إن أكرمني الله بالولد أن يكون مثل ناجي شاب مكافح منذ حداثة سنه..كان يعمل بجهد بجانب والده..ولم يتأخر أبداً في دراسته..لقد درس الحقوق فقط ليحقق حلمه بأن يصبح وكيل نيابة ورغم أنه كان المرشح الأول وقتها لمعيد بالجامعة او تحقيق حلمه..ضحى بكل شيء بعد موت والده المفاجئ وتولى إدراة أعمال عائلته التي انهارت إثر فقدهم لوالده فأعاده أكبر وأكثر توسعاً من السابق"

توسعت إبتسامة عبير وهي تقفز في أحضان والدها تحاول مدارة تلك السعادة التي تجعل فراشات صغيرة ترفرف بين أضلعها من كلمات والدها الفخورة به ذلك الخشن الجذاب أخبرته بدلال طفولي:

"تتمنى ولد يا منصور..وماذا عني أنا فراشتك الحبيبة"

بادلها منصور الضحك بصوت أجش يخبرها:

"أنت حبيبة والدك وستظلي دائماً..وأحمد الله على نعمة وجودك التي ملأت حياتي وعوضتني بعد موت والدتك صغيرتي فقط أخبرك عن مدى إعتزازى بناجي ونظرتي الثاقبة به..أتعلمى أنه عبر السنوات الماضية ورغم

إنشغاله..ولكنه لم يكف عن السؤال عنى وتقديم إمتنانه الدائم لأستاذه رغم عدم تقديمي له شيء يذكر فقط حافظ على ذلك الرابط الذي إمتد بينتا أثناء دراسته"

تنهدت عبير بأريحية وهي تعانق والدها تخبره:

"أنت فارسي الدائم يا أبى..وأثق في إختيارك ومعرفتك الجيدة لمعادن البشر"

ضمها والدها رغم شرود أفكاره..وهو يخبرها:

"وأنا أثق بكِ يا دكتورة..وأعلم أني أحسنت تربيتك ورعيت عقلك جيداً لتكوني واثقة في أي خطوة تقدمين عليها دون تردد أو ندم.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كانت تتحدث مع صديقتها بنزق وهي تساوى حقيبتها الثقيلة على كتفيها تخبرها:

"ما الذي يعنيه هذا يا نرمين الاختبارات النهائية إقتربت وأنتِ مازلتي تلعبين دون أي قلق إنها السنة النهائية لنا"

هزت نرمين كتفيها دون إهتمام وهي تخبرها:

"القسم الذي أهدف اليه لا يحتاج الكثير من الدراسة كما أن الجميع ليس مثلك..يا (ألفريد أدلر)"

بضيق همت عبير بالرد على سخرية صديقتها وعدم اللامبالاة الدائمة منها..ولكن ما تراه عيناها جعل الكلمات تقف في حلقها ووتجمد مكانها توسعت حدقتيها بعدم

تصديق..وهي تنظر الى ذلك الجسد الفارع والمُلفت لنظر كل من حوله يقف بجانب سيارته يربع كلا مرفقيه على سقفها بوجه متجهم وعينان ثقاقبتان غامضتان..أبعدت نظراتها عنه رغم جسدها الذي إجتاحته موجة إرتعاش مبهمة..أطبقت جفنيها بشدة وقلبها يطرق بسعادة وأمل غاب عنه كل الشهور الماضية عبر جفائه وتحفظه معها عندما تقابله في منزلهم..فتارة يدعي عدم رؤيته لها..وتارة أخرى يقابلها أمام باب الحديقة وهو يهم مغادراً بتعجل فيلقي عليها سلام دون إهتمام أصابها بالحزن القاتل..و يأس مكروه أصاب قلبها البكري في عشقه ؟!

فتحت عبير عيناها وهي ترفع يديها تضمهم بقوة على هدير قلبها المتقافز بسعادة مجنونة تهمس بإختناق وعيناها تطرق بدموع غادره:

"اذاً شعوري أني مراقبة لم يكن أبداً جنون منى..أنت هنا تتبعني..اذا تهتم أيها الضخم العنيد..أشغل عقلك مثلما أنت أصبحت تملأ كل كياني"

عند هذا الخاطر أخذت نفس عميق وإبتسامة واثقة ناعمة تُزين محياها الرقيق..لم تلتفت لتلك العينين شديدتا السواد العاصفةو تجذم بأنها تتبعها تحاوطها وتحرسها..حتى دون تصريح..:

"رغماً عنك سأحبك..ورغم كل إعتقاداتك ستحبني . . ."

كان يتابعها بعينيه كعادته..نظر لتلك الابتسامة المشرقة لعينيها وتزين وجهها ناعم الملامح فأسره النظر اليها مرغما ليهمس لها بنبرات رخيمة عميقه لم تصلها قط:

"إخفي حلاكِ عن العيون يا قطعة السكر فحُسنك أذاب القلوب وتعدى الحواجز التي لم تفتح لقلبي قط"

"أعذريني سكرتي لإدمنك فلم أعد أَجِد علاج سوى قربك..حتى وإن كنتِ في بُعد النجوم التي تلمع في السماء"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖.

بعد شهر أخر..

علم أنه تخطى كل الحواجز التي وضعها لنفسه وقفز فوق كل الحدود التي أقامها بإصرار بينهم..ولكنه قاوم بكل قوة أن لا يأتي الى هنا ليراها بعد إنقطاعها الشهر الماضي عن مدرستها..لإقتراب إختباراتها النهائية..لسنتها الثالثة في الثانوية بحجة دراستها في المنزل..يعلم أنها سنة هامه لها والفيصل في حياتها..وكم يتمنى لها من كل قلبه و بكل دعواته في صلاته أن توفق فيما تسعى اليه.."

كان مازال يجلس في حجرة الإستقبال يتحدث مع السيد منصور..ولم يتخلى عن هدوئه رغم النار المشتعلة في صدره لخيبته في مسعاه إنها لم تظهر ولم تظهر أى نية من السيد من منصور لإخبارها بوجوده مبررا لنفسه..ما الذي قد يدفع أستاذه من الأساس لإستدعائها لمقابلته ....

إنحنى منصور للإمام يعقد كلا كفيه على قدمه ينظر لهدوء ناجي المفتعل رغم رزانة الشاب الذي يجبر الجميع على إحترامه بتحفظ أفعاله ووقاره ...إلا أن عيناه التي تفلت منها نظرات الى الباب المفتوح وكأنه يبحث عن شيءٍ مفقود ويسعى بإصرار لإيجاده..جعله يفهم أخيراً ما يحدث..لقد وجد إجابة على سؤاله الحائر منذ خمس شهور مضت..ذلك الوميض المشتعل بعين إبنته ليس أحادى الطرف بل هو سهم متبادل ونصيب من القدر..حدد مصير كليهما وألف قلوبهما..تراجع منصور الى الخلف وأسند ظهره ثم تنهد بإرتياح..لقد وجدت ضالته التي سيودعها زهرة حياته بقلب مرتاح..ليتخلص من ذلك الهاجس القلق والموجع له..لقد أوشك وقته على النفاذ ويجب أن يتدخل بنفسه لينهي هذا الصمت ويشجع ذلك الجبل الجالس أمامه ليتهور ويأخذ خطوته..قطع الصمت منصور يخبر ناجي بهدوء:

"طلما أتيت اليوم بنفسك وتقبلت أخيراً دعوتي أن تأتى في الوقت الذي تحب..ستتناول الغذاء معنا"

لم يرفض ناجي كعادته الدعوة ممنيا نفسه برؤيتها..تقبل الدعوة بترحيب قائلاً:

"هذا شرف لى يا أستاذي ولأصدقك القول لن أستطيع الرفض فأنا لم أتناول شيء منذ الصباح"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بعد وقت دخلت عبير الى غرفة الطعام بوجهٍ مرهق وملامح متعبة وهالات سوداء تحيط عيناها الأثرتين..للحظة فقط تسمرت مكانها مترددة في التقدم أكثر وتتمسك بملابسها المنزلية البسيطة المحتشمة بإربتاك..ويدها الأخرى تمسد شعرها المشعث..وعندما إتخذت قرارها بالفرار..أتاها صوت والدها يشجعها للتقدم قائلاً:

"تعالى يا عبير لا أحد غريب هنا حبيبتي"

منحت سبب تشتت أفكارها نظرة جانبيه فوجدته لم يخرج عن جموده ولم ينظر لها على وجه الإطلاق..فإستمدت من جموده قوة وتقدمت بغيظ تسحب أحد المقاعد المقابلة له لتجلس عليها بحده..جذبت طبقها أمامها وملأته بالأطعمة المتنوعة دون حرص وتناولته بصمت وهي تستمع لحديثه المتعقل مع والدها..في شتى الأمور السياسية او حتى الإجتماعية..

"وأنتِ كيف حالك يا عبير؟ هل توجهين أي صعوبة في دراستك"!

للحظات حاولت ألا ترفع عيناها بدهشة لتقلب نظراتها بحيرة في وجهه الساكن..إبتلعت الطعام المعلق في فمها وهي تخبره بتعجب:

"هل تحدثتي أنا سيد ناجي"!

رد ناجي بجدية:

"وهل يوجد أحد غيرك هنا..يدرس"

هزت رأسها بتعحب وأجابته بدبلوماسية:

"بالتأكيد لا ولكن أعذرني..لقد تعودت على عدم توجيهك أي حديث مباشر لي"

إبتسم بوقار وهو يسمح لنفسه أن يتفحصها بمهل ويخبرها بتحفظ:

"أسف..ولكن لم يكن هناك أسباب للحديث معك"

رفعت حاجبيها وهي تخبره:

"والأن..وجدت ما تسألني عنه"

لم يتخلى عن تحفظه وهو ينزع عيناه عنها ويتلاعب بشوكة الطعام بين أصابعه الطويلة قالا:

"بالتأكيد وهل هناك أهم من دراستك..أنت إبنة أستاذي التي يتفاخر دائماً بها..ويأمل أن تحققي حلمك في الوصول الى كلية الطب"

رفعت عبير رأسها تتأمله هي تجبره عبر نبراتها الحازمة للنظر اليها:

"يبدو أنك لا تهتم تماماً بما يخبرك أبي عني..أنا لا أسعى للطب سيد ناجي..بل لدراسة علم النفس"

ظل ناجي صامت للحظات تحت نظرات منصور المراقبة بهدوء دون أي مبادرة للتدخل..رفع ناجي عيناه المتحفظتين يبتسم ببطئ وسألها:

"لما وما السر لتحديدك علم النفس دون غيرها من كليات القمة"

رفعت عبير أحد حاجبيها لتخبره ببساطة وصوت رقيق ناعم خافت وصادق:

"لأني أحب دراسة البشرو يشعلني الفضول لأي انسان حولي لأخترق الدائرة التي يرسمها حوله..لأستطيع فهمه دون حتى أن يخبرني شيء او يُبدي حتى أي اهتمام لوجودي حوله..تستطيع القول يشعلنى الفضول لفهم كل دواخل النفس البشرية"

لم يرد ناجي بشيء وكلماتها مستترة المعانٍي تصله بوضوح..و منحها إبتسامة رزينة ليخبرها مشجعا:

"ربما أنا لا أعرفك ولكن أثق في إبنة أستاذى لأنها ستصل لكل ما تريد وتحقق أعلى الدرجات كعادتها دائماً"

عقدت عبير حاجبيها بشدة وهي تنظر له متعجبة..تبتسم بإبتسامة مالت للحزن المبهم عبر نبراته المتكلفة..حتى وان كانت مشجعه..أومأت بشبه موافقه شاردة تقاوم تلك الدمعة التي تعانق دقات قلبها قبل أن تطفر نت عيناها . . .

عاد ناجي ليخبرها بحنان فلت منه مرغماً يطاوع روحه التي هفت اليها:

"ستخبريني..بتحقيق حلمك عندما تحرزي النجاح الذي أثق به..لمعلوماتك أنا كنت أعرف جيداً أنك تسعين لدراسة علم النفس ولكن كنت أريد أن أسمع منك أسبابك"

الأمل الذي منحه لها..عبر كلماته البسيطة جعل وجهها المرهق يشرق كنجمة لامعه..أومأت له بسعادة قائله:

"ستكون أول من يعلم بالنتيجة أعدك أن لا أخيب ظنك بي"

بينما والدها ينظر إليهما..والطمئنينة تنتشر في ثنايا روحه يؤكد لنفسه أن اختياره بالتأكيد كان الأصح والأمثل لصغيرته□□

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أمسك الأشعة الأخيرة لحالته بين يديه منذ ساعات وشعر أن القدر تكاتف على صغيرته وحدها بصفعات قاسية لصغر سنها..كيف تستطيع التحمل ؟؟ومن أين لها مواجهة كل طامع،وكل نفس حاقده قد تستغل ضعفها ؟؟ووحدتها إن غادرها وأصبحت دون سند قوي يحميها و يقف جانبها في محنتها يعلم أن حكمة الله وحده في أن يخطف زوجته من بينهم منذ ثلاث أعوام..ليعود المرض ويهاجمه دون سابق إنذار..أو يمنحه الفرصة ليراعيها حتى تشب وتستطيع الوقوف على قدميها وحدها..إنه يثق في إبنته التي أنشئها على يديه كنبات صالح التربة،وعقل راجح واعي لم تملكه شابة في عمرها..ولكنه ببساطة لايثق في نفوس البشر المظلمة التي قد تستغل أنها فرع وحيد في مهب الريح وحدها في حياة معتمة يكسوها السواد بعد مغادرته من الحياة . . .دفن وجهه بين كفيه بوجع حقيقي وقلب مثقل يتمتم قائلا:

"اللهم لا إعتراض على قدرك،أعلم انه لحكمه لا يعلمها إلا سواك،ولكن كل دعواتي من قلب والد مكلوم على فلذة كبده أن توفقنى فيما أسعى إليه دون الضرر بطفلتي،أو أن أقلل من مكانتها فيما أريده ياربي"

تحرك ببطئ ومسح دمعات هبطت من عينيه رغماً عنه..لقد أتخذ قراره الذي لا رجعه فيه..يسابق الزمن بأن يحقق لصغيرته ما يُطمئن قلبها الصغير ويُريح بالها..عن ما شعر أنه يجتاح كل كيانها يثق كل الثقة في اختياره الذي يجعله يغادر الدنيا مجبور الخاطر مستريح الضمير،ومطمئن العقل والتفكير قبل القلب . . .

❖❖❖❖❖❖

طرق باب الغرفة بهدوء وفتحه دون تباطؤ و جلس علٍى طرف السرير..مسد على شعرها بحنان أبوي فياض قائلا:

"عبير حبيبتي..هل يمكنك الاستيقاظ قليلاً؟ أريد الحديث معك."

بصوت ناعس كانت تجيبه بإرهاق:

"أتركني قليلاً أبى..أخر يوم في الاختبار أتى على كل البقية من قوتى"

أبتسم والدها بتفهم وهو يقول بهدوء:

"ولكن حبيبتى الحديث الذي أريدك فيه..لا أستطيع تأجيله لوقت أخر"

تململت وإعتدلت من نومها بتكاسل تسند ظهرها على طرف السرير وتربع ساقيها من تحت الغطاء تتثاءب ببطئ وهي تخبره:

"ماذا هناك يا أستاذ منصور..أنا معك كلياً"

بتعاطف كان يمد يده ليعيد بعض الخصل التي تغطي وجهها وتحجب عنه نور وجهها المحبب الى قلبه بحرص شديد متمهل كان يخوض فيما يسعى مباشرة سألها:

"ناجي العطار ماذا يعنى لك عبير؟؟"

توسعت عيناها وكل حواسها تشتعل بالاستيقاظ نظرت لوالدها بتخبط تجيبه بتلعثم:

"لا أفهم السؤال،هو..هو ذلك الشاب الذي يأتي اليك فقط لا يربطني به شيء أخر"

أبتسم والدها بتعاطف وهو يجيبها بتعقل:

"أنتِ لم تفهمى سؤالى صغيرتي..أعلم جيداً أن لا رابط بينكم"

صمت لبرهة وهو يردف بحزم:

"أنا أثق في تنشئتي لكِ..كما أثق في أخلاقه هو؟! فناجي لن يتعدى على حرمة بيتي..ولا حتى حرمة أي بيت أخر مهنا كانت الظروف او أسبابه"

أطرقت عبير رأسها بحيرة ترفع عيناها بتردد قائلة ببطئ:

"أذاً ما الهدف من السؤال أبي"

أطرق منصور برأسه مفكرا للحظات..يحاول أن يتحلى بالشجاعة والصدق الدائم بينه وبين فلذة كبده ليسبر أغوارها ويراعي ذلك الخجل الذي كسا ملامحها..رفع وجهه يقول بنظرات جدية حازمة:

"إن تقدم لكِ ناجي العطار طالبا ليدك..هل تقبلى به زوج ،"

قطعته عبير بذهول تقول بخجل متردد:

"أبى..أنا لاأفكر في الزواج الأن مازال طريق دراستي طويل"

قاطعها والدها يتجنب ردها ويتفهم خجل مراهقتها يخبرها بصرامة:

"عبير سؤالى محدد وانا أعرف رجاحة عقل إبنتي..هل اذا أقدم ناجي على الزواج منك..ستوافقين على طلبه..والأهم انك لن تندمي يوما ما..على قرارك أبدا"

عم صمت مهيب في أرجاء الغرفة وعبير تطرق برأسها تنظر ليديها المعقودة فوق الغطاء..شعرها المتهدل يغطى وجهها فلا يستطيع منصور تبين ملامحها او يستشف بوضوح ما تفكر فيه إبنته..

ليأتيه صوت إبنته بهدوء تقول:

"وأنت أبى ما رأيك فيه؟؟ هل ترتضى به زوجاً لي ؟؟"

تراجع منصور في جلسته يخبرها بصراحة بها بعض المواربة: "أنا لا أهتم إلا بسعادتك و أن أطمئن عليكِ مع رجل يكون لك كل شيء دون حتى أن حاجتك لسؤاله..إن

لم أثق فيهِ وأمنحه مباركتى دون أن يطلبها بعد..لم أكن أسألك أبدا"

عضت عبير على طرف شفتيها بقوة وقد فهمَت من حديث والدها أنه لم يقدم على أي خطوة بعد لتريح قلبها المقيد بعشق قد أصبح يصيبها بلوعة..أغمضت عيناها بشجن ولم ترد..وبماذا تجيبه عن رجل أصبح كل عالمها الصغيروهو لم يتحرك فيه ساكن وحده يستعصي على عقلها فهمه..هي من تحدته متوارية بأن تقرأه..عجزت تماماً عن إختراق دائرته ويبتعد عنها كلياً يتجنبها بإصرار..ولكن يحيطها بحرص من بعيد ؟! لم يتغيب يوم واحد في كل (امتحان لها) يأتي بإنتظام يراقبها من بعيد..يودعها بعينيه حتى تصعد الى (باص) المدرسة يحيطها بتلك الظلال الأمنة التي يحجبها عنها .

مشاعرها المتعاقبة التي يكسوها الحزن الرافضِ المتحير وصلت والدها بشكل غير واضح..أنهي الحوار قائلاً بتشدد:

"لا داعى للتعجل في الرد يا زهرة والدك..معك شهر لتُفكري بوضوح..وتُحددي ما تريديه..أنا كلي أمل وعشم بموافقتك..ولكن لن أجبرك على شيء قط"

وقبل أن يصل الى باب غرفتها كانت عبير تهرع اليه و تتمسك بصدره تخبره بمشاعر متخبطة:

"ضُمني أبي جيداً..أحتاج للإستقرار والأمان الذي تبثني إياه"

لم يتردد منصور في محاوطتها بين ذراعيه بإشفاق أبوي متفهم وسألها بلين:

"أخبريني ما يثقل صدرك بنيتي من متى بيننا أسرار"

دفنت رأسها بين كفي والدها تخبره بتسارع مندفع مجنون تزيح عن قلبها المراهق ذلك الحمل وتدفعه دفعا لوالدها الذي طالما احتوى كل مآسيها:

"أنا لا أحتاج لأي وقت أبي..قراري إتخذته دون ذرة ندم او تردد حين رأيته أول مرة"

صمتت لبرهة يقتلها الخجل ورفعت عيناها بإصرار واثق:

"قد يكون هو لم يراني جيداً..ولم يفهم من هي عبير منصور ولكن أنا أعرف من هو أبي وأعلم لما أتهور لأول مرة وأسمح لنفسي بالتطرق. والتفكير به"

أخذ منصور نفس عميق وهو يسألها بنبرات جدية صارمة:

"وما سر إنجذابك له ؟!"

رفعت عبير عيناها تناشد أبيها أن يفهمها ويراعي ذلك الإصرار المترافق مع الخجل منه..لتقول بذات الثقة:

"أنا رأيت فيه أنت يا فارسي المغوار الأول..كل ما في ناجي رغم خشونة طباعه متطابق معك أنت"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

طلبتك اليوم بشكلٍ خاص..لأني أريد .أن أفضى إليك بسر لم يعرفه أحدا سابقاً ولأول مرة سأبوح فيها به"

نبراته الجدية..إسترعت كل إنتباه ناجي..ليضع كوب قهوته على المائدة الصغيرة التي أمامه..وحاجبيه الكثيفين ينعقدا بإهتمام وهو يقول:

"سرك في بير عميق يا دكتور..كلي أذان صاغية"

تنفس منصور بعمق وهو يسبل أهدابه يخبره بصوت خافت بحرص:

"أعلم هذا..ولكن مهما سمعت هنا لا أريدك أن تبوح به مهما كانت الظروف"

توجس ناجي وهو يقول:

"أقلقتني أستاذ منصور.."

رد منصور بصوت متحشرج خافت مختلف إلا أنه لم يخلو من البأس الشديد:

"أنا أعانى من سرطان الكبد..في أخر مراحله للأسف لم أكتشف المرض إلا متأخر جداً حاولت أن أستعين ببعض الأدوية والمسكنات ورفضت تماماً العلاج الكيماوي..ولكن مع ظهور التحاليل الأخيرة..لن أستطيع المكابرة أكثر"

تحشرج صوت منصور تماماً مع دموع عزيزه جداً لمعت في عيناه وانقطع صوته لبرهة وسط نظرات ناجي الغير مصدقة..وكلماته التي خرست في حنجرته..تابع منصور يحاول إستعادت سيطرته على نفسه قائلا:

"أنا لا يقلقني مرضي ولا أخاف الموت أبداً..إنه الشيء الحقيقي علينا في رحلتنا الطويلة في الحياة ...ولكن كل

خوفي وجزعي على وحيدتي التي لا تملك أي سند أستطيع أن أطمئن عليها في كنفه"

رفع منصور عيناه الأبوية ببريق معذب يخبره:

"كيف أتركها وسط الصرعات التي لا تهدأ من كل عائلتيها على المال والميراث وأنا على قيد الحياة..أريد لإبنتي ظهراً حامياً لا يطمع بها..يدللها كإبنه ويراعيها كأخت ويتفهمها كصديق ويحبها كزوج"

هب ناجي من مجلسه فاقداً السيطرة على مشاعره توجه الى منصور مندفعا يهتف به وهو يقبل أعلى رأسه:

"أستاذ منصورما الذي تقوله ؟!أنا أسف..أسف ولكن بالتأكيد لدينا حل..أعلم ان المرض بيد الله وحده ولكن دائماً هناك علاج"

ربت منصور بإبتسامة حزينة راضية بقدره على كتفي ناجي المعانق له في حضن رجولي داعم..قائلا:

"لقد جربت بالفعل في الشهور الماضية لعلِ أَجِد أي أمل ولكن للأسف المرض تفشى كلياً وحتى الكيماوي لن يأتي بنتيجة..لا أريد لعبير أن تغرق معي في دوامة المرض والعلاج وترانى طريح الفراش ضعيف الجسد والمرضِ ينخرِ بى..خفت صوته ببحة قاتله ودمعته تهبط أخيرا قائلا:

"أريد لإبنتى أن تتذكر دائماً صورة والدها القوى..فارسها المغوار كما تدعوني دائماً..ولا تستبدلها بتلك الصور الموجعة لكلينا"

قاطعه ناجي بإصرار متلهف:

"ولكن،المحاولة لنٍ تضر سافر الى الخارج وأنا سأتي معك..سنسعى سويا في طريق العلاج ولن نخبرها بشيء.."

قاطعه منصور وهو يتمالك نفسه بقوة ليخبره بنبرات قاطعة وهو يقف من كرسيه يواجهه:

"ناجي لم أتي بك الىٍ هنا لتخبرني بشيء فكرت به بالفعل ولكن أنا أعلم جيدا أن مهما حاولت المقاومة وقتي أصبح ضيق للغاية ولن أجني من تلك المحاولات إلا كسر قلب وخاطر إبنتي وفقدانها الأمل في كل شيء..سأغادرها في النهاية وأتركها للوجع والألم وحيدة دون داعم قوي يخرجها من حزن محقق..

قبض ناجي يديه بجانبه بعنف وهو يقول بصوت مكتوم يكسوه الحزن العميق:

"وأنت هكذا لن تفعل ستغادرها على كل حال..ولكن بمحاولتك التي ترفضها ستخبرها أنك تهتم بها أنك كنت تحارب للبقاء جانبها أطول وقت ممكن"

أغمض منصور عيناه بقوة ليحجب عنه الألم المتعاقب فيها وسند كفيه على سطح مكتبه..وكتفيه تتهدل من هول حمله بإرهاق ونبرات متحشرجة حذرة..حريص كل

الحرص أن لا يبوح بعرضه مباشرة..فقلبه وإعتزازه وكبريائه يرفض عرض إبنته مباشرة حتى وإن كان يمنح ناجي كل ثقته ويعرف الأرض الذي يخطو عليها فقال:

"ناجي لم أتي بك الى هنا لتحاول إرجاعي عن قرار قد أصدرت فيه حكمي القاطع..ولكن أردت أن أعلمك..أن أبنتي من بعدي لا يوجد لها أحد أعتمد عليه..أردت أن أفضي لك بسري الذي بثقل الهموم على صدري..أثق في إبنتى ولكن لا أثق في نفوس البشر التي قد تستغل ضعفها بعدي"

للحظات طويلة كان ناجي يقف متصلب وصمت قاتل يلف كليهما منصور وقد أرهقه هم ما كان يقوله كله..لقد رمى له بطلبه وفتح له الباب الذي يخشى ناجي الإقتراب منه ولم يعد في قدرته ان يحثه على التقدم أو أن يتشجع ليأخذ خطوته،بنفسه..

أما الأخر كان تتعاقب عليه مشاعر متضاربة قاتلة..لقد فهم جيداً عرض منصور المتواري..أدرك ما يريده منه تحديدا لن يكون إبن سوق منذ نعومة أظافره إن لم يفهم طلب أستاذه..متردد رغم ترحيب الرجل بالأمر عاد عقله يلمع بكلمات أبوها التي رددها بتأكيد صغر سن الفتاة وضعفها..بالتأكيد إن وقفت وقتها وحيدة يتفهمه جيداً وقلبه يطرق بوجع وغيرة عمياء لتلميح والدها المستتر بأنه قد يتجرأ أحدهم ويقترب من سكرة قلبه التي إجتاحت كل حصونه التي لم يستطع أحد أن يتخطها من قبلها..هدرت الدماء في عروقه وعيناه أظلمت بغيرة عمياء سيطر عليها

بقوة وسمح لنفسه بتهور على فتاة أصبح قلبه يختمها بصك ملكيته ليقول بقوة ودون تردد او حذر:

"أستاذ منصور،إن كان كل خوفكٍ على أبنتك..فإن قبلت بذلك الرجل الذي أمامك زوجاً لها أعدك أن أفديها بنفسِي،وأحتويها بين جفون عيناي،كل ما أملك في تلك اللحظة إن تفضلت عليّ بموافقتك أن أكون لها وطن لا يفرط فيها أبداً ويفتديها بروح روحه"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

فور أن أعلن المأذون..عن إنتهاء عقد القران كانت تنهال عليه المباركات من أبناء عمومته فهو قد أصر أن يحضر معظمهم الإحتفال الضخم الذي أقامه لها كتكريم منه وإعتزاز بالنسب الذي منحه له أستاذه،لقد أصر رغم الوقت الضيق الذي اتفق عليه مع منصور أن يتبع كل مراسم الخطبة بالطرق التقليدية،حتى يمنح أستاذه الفرحة الكاملة ولا يشعر لحظة أنه أُجبر على تقديم واجب طلبه منه والدها..والفرحة العظيمة التي تتراقص مع عيون الرجل المتلئة بالدموع تكفيه ليعلم أنه حقق هدفه من كل ما فعله..كان منصور يحتضنه بقوة يخبط على ظهره بإمتنان وهو يخبره بصوت مبحوح:

"ستظل ولدي الذي لم أنجبه،هي أمانتك يا بني وأنا أثق بك الأن وأستئمنك عليها"

بحبور كان يرد ناجي وذلك الشعور الذي يتسلل الى قلبه بفرحة غامرة وإعتزاز بثقة منصور به منحه حلم كان

بعيد المنال ودون سابق إنذار كان يمنحه له..أخبره وكل أملهٍ أن يوصل للرجٍل شعوره الحقيقي الذي يجتاح كيانه ،أبداً لم تكن فرضاً عليه ولم يطرق عقله أنها أداء واجب لأستاذه ولكنها نجمة مشعة وهبطت لتصبح له وبين يديه :

"بل الشكر لك يا أستاذ منصور لتكرمك عليّ بنسبك،ومنحي تلك الجوهرة التي لا تقدر أبداً بكنوز العالم"

إبتعد منصور يمسح دمعتهٍ اليتيمة بطرف أصابعه يهز رأسه بشكر صامت لله أولاً ولناجي من بعده..يطلق زفرات إرتياح يهمس لنفسه مطمئنها:

"اليوم فقط يا زهرة والدك،أستطيع النوم مستريح البال بعد أن سلمتك لمن يستحق"

تنحنح ناجي يهمس لمنصور قائلاً بوقار ورزانة:

"بعد إذنك أستاذ منصور هناك تقليد وعادة نتبعها ،في بلدتي لتكريم زوجتي بعد عقد القران..وأريد موافقتك لأقوم به"

ضحك منصور مصحح بهدوء:

"عم منصور يا ناجي،لم أعد أستاذك فقط،وبالطبع تستطيع فعل ما تريد بالطريقة التي تفضلها لقد أصبحت حلالك وفي عصمتك"

أومأ ناجي بهدوء وقور وشعور أخر يومض بداخله تضارب عظيم وهم من نوع أخر غامض يجٍسم على صدره شعور قلق يجتاح كيانه الذي لم يهتز يوما

كان يقف على باب الغرفة الواسعة التي تتواجد بها النساء من عائلتيهما..فور أن دخل والدها فتح ذراعيه لها بحنان..فإرتمت فيها مستنجدة فيما يبدو بعدم فهم لما يجري حولها..يعلم أن كل ما يحدث وتحفظه هو ووالدها عن عدم إخبارها سبب إستعجالهم في حفل الخطبة وتشبثه هو بأن تكون حلاله زوجته ويمنحها إسمه،ليجعلها تنتمى اليه وهي تشعر بالحيرة والتخبط..تعلقت العيون به..ما بين عدم رضى من عائلتها أنيقة التصرف والملبس وما بين إخوته البنات بكامل أناقتهن وإرتدائهن الملابس العصرية رغم تشبثهن بالحجاب،ووجوهن تعلوها الفرحة والترحيب بالعروسة،وبين نظرات والدته التي مازالت يعلوها عدم الرضى على إختياره معللة رفضها أنها لا تقبل لكبير عائلتها،بإبنة العاصمة ؟!

إنفصل عن كل الهدر والعيون المحدقة به ونظر اليها وهي تتشبث بيد والدها بخجل ترفع له بِندقيتها بسهامها القاتلة التي أصابته وكبلته بها،رقيقة جدا وناعمة جداً جداً بذلك الفستان سكري اللون البسيط المتراقص على قدها المشوق يلتف حول خَصرها الأهيف ويتدلى بنعومة آسرة على ركبتيها ويتوقف أعلى ساقيها الإنسابيتين بقليل..حاول أن يجد لقب واحد يليق على بهائها وزينتها ولم يجد إلا لقبها الذي أطلقه عليها منذ أثرت عيناه (قطعة سكر حريرية ذائبة)..تذيب الروح قبل القلب وتقيد العقل الذي لا يريد الى ضمها..قطع ناجي الصمت الذي لف أرجاء الغرفة والعيون المترقبة..

تقدم خطوات واثقة خشنة إليها..وقف أمامها ونظر لعينيها المبتسمة بصفاء وفتح طرفي عبائته ولفها بها يضمها بلهفة لم تستشعرها قط وسط عيون أقاربه المندهشة..وسكرته لم تخيب ظنه عندما طوت مرفقيها تضمها وتسنده على صدره طواعية،همس هو بجانب أذنيها بصوت رخيم أجش وصل لمسامع والدها:

"أعدك كما وعدت والدك بحمايتك دائماً،منذ منحتك إسمى،مبارك يا قطعة السكر"

الرعشه المرافقة للدهشة المتضامنة مع خجلها من فعلته الغريبة عن عالمها،منحته شبه إجابة راضيةٍ لقلقه وكبريائه المتخوف من تردد قد تبديه هي مستقبلا..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كان المنزل فارغٍ تماماً من جميع الضيوف حتى أهله قد انصرفو جميعا في سيارتهم الخاصة..وتبقى هو حسب الأصول مع عروسه التي لم يستطع مجالستها لعدم تقبله هو أن يجلس على كوشة العرائس المجهزة لهم،وسط الحريم .كان يودع منصور على باب المنزل عندما ظهرت هي تتهادى بخيلاء لا تليق بسِواها تبتسم له بشغف مطل من عينها..ترجوه البقاء قليلاً معها وأن كان رجائها لم يتعدى نظرات عيناها قط

تنحنح هو بنبرات خشنة قائلاً:

"بعد إذنك عمى،أريد محادثة عبير لدقائق في حديقة المنزل"

هز منصور رأسه بتفهم قائلاً:

"بالطبع ناجي أنت لا تحتاج السؤال بني"

أفسح ناجي الطريق وهو يمد يده لها قائلاً إسمحي لي عبير"

ضحكت بخجل وعيناها تلمع كألف نجمة وهي تدس كفها الرقيق سريعاً في يده..ضم يدها وهو يرفع حاجبيه بتعجب يهمس لها بخفوت:

"قصدت أن تتقدميني الى الحديقة لا أن أعانق يدك أمام والدك.."

كانت تتقدم معه خطوات بالفعل نحو مكان منعزل عن أي عين متطفلة قد تراهم أرتعش فكها وإبتسامتها تنمحي من أفعاله التي ما زالت يكللها تحفظه لتجيبه بذكاء تتجنب به جفاء كلماته:

"ليس من الأصول أن أتقدم زوجي سيد ناجي."

توقف وهو يدريها اليه يخبرها بهدوء:

"ناجي فقط يا عبير"

لدقائق كانت تتفحص ملامحه بسكون لتجيبه ببساطة:

"سأناديك بإسمك مجرداً،عندما تكف أنت عن تعاملك الرسمى معى"

أبتسم ناجي بهدوء وهو يقول بتحفظ:

"ولكن هذا لا يجوز ،لقد قلتِ بنفسك يا عبير زوجك،أي أن الألقاب زالت بيننا"

هزت عبير كتفيها وهي تقول بنزق ممتعضة:

"أنت لم تشعرني بهذا قط سيد ناجي،منذ أن أعلنت خطبتك لي رسمياً،و كل أفعالك متكلفة معي،حتى الشبكة التي إصطحبتني لإختيارها رفضت بتعنت أن تشارك بإنتقائها معى"

إستدار ناجي مرة أخرى وهو يتقدم خطوات أخرى يحسها على مصاحبته بصمت إتبعته دون مجادلة،لتسمع صوته الرخيم يخبرها:

"أنا لا أريد التدخل في إختياراتك،وكل ما أنويه معك أن تكون كل قرراتك نابعة من داخلك دون أي تدخل منى،حتى لا تندمي لاحقاً يا عبير"

زفرت عبير بحنق لقد محنته الفرصه تلو الفرصه تنتظر أى فعل منه كإعتراف بحبها أو حتى إعلان فرحته أنها أصبحت له ولكن يبدو أن مشوارها مع هذا الضخم العنيد طويل ولم يبدأ بعد..بإندفاع كانت تخبره هاتفه:

"يبدو أنك،لم تعرفني بعد يا ناجي،ولم تعلم أنى أختارٍ كل شيء في حياتى بقرارات حازمة صائبة لا أندم أبدا على خطوة أخذتها،"

صمتت لبرهة تلتقط أنفاسها وصدرها الذي يهبط ويعلو بإنفعال ونور القمر ينعكس عليها كلها فيزينها نور مشع

ينتشر في روحه وعقله المتصارع العنيد كما وصفته..أنفاسه ثقلت وهو يسمح لحصونه مره أخرى بالانهيار معها عندما أردفت بقوة تشوح بيديها بسخط:

"مثلما إختارتك أنت،دون تدخل أحد"

أشارت لقلبها بكلا كفيها تردف بحرارة:

هذا إختارك يا جلمود صخر منذ وقعت عيناي عليك أول مرة،لم أكن يوماً من المراهقات اللاتي ينجذبن لرجل أو شاب،دون سابق معرفة بل لم أجرؤ يوماً لأسمح لرجل بأن يشغلني أو يقتحم عذرية قلبي إحتفظت به دائماً واعدة نفسى أن أمنحه لمن يستحق!!"

إقترب مرغماً يرفع أصابعه الغليظة يمررها على وجهها بهدوء بطيء متمهل وهو يقول بشغف:

"وهل وجدتي من يستحق،بعد يا سكرتي ؟!!"

قلبها إرتعش بين أضلعها وأنفاسها ثقلت وهي تضغط جفونها بشدة لتجيبه بصوت مرتعش:

"نعم وجدتك أنت ومنحته لك كاملاً بأول مرة وقعت عيناي عليك في مكتب والدي"

بصوت مبحوح. شغوف كان ينحني نحوها عيناه بظلالها السوداء لا تراقب إلا شفتيها الرقيقة المنفرجة قليلاً وأنفاسها تخرج مربتكة ثقيلة..شفتيه كادت أن تلامسها عندما توقف فجأة على بعد نفس واحد منها..عندما طال إنتظارها لإقترابه منها رفعت جفنيها بتردد تنظر الى وجهه

القريب جداً منها ليصدمها ذلك الصراع الخفي الذي كسا ملامحه بتقطع خجل كانت تناديه تشجعه ليقترب:

"نااااجي"

ابتعد عنها سريعاً وهو يستدير مغادراً وأخبرها بصرامة وصلف:

"تصبحين على خير عبير،إدلفي الى الداخل فالجو بارد وملابسك خفيفة"

فغزت فاها عن أخره بذهول ودمعة حائرة بخيبة أمل تطرق عيناها لم تستطع أن تمنع همسها الساخط لنفسها:

"والله ما بارد إلا أنت ناجي،أتمنى لك ليلة تتقلب فيها على صفيح ساخن ولا يزور النوم جفنيك،كما كسرت رومانسية ليلة خطبتي"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كانت تراه وهو يُخرج علبة صغيرة من جيبه،ومد يده بهدوء يتناول كفها..وأخرج خاتم ماسي بخرزة خضراء اللون تعلوه وهو يقول بإهتمام جدى:

"هل أعجبتك؟! أنه هديتي الخاصة لنجاحك يا دكتورة"

كانت تحدق فيه ببلاهة في جلستها الجامدة على الكرسي المجاور له بسيارته الخاصة الفخمة من ماركة المرسيدس التي علمت،أنه يمتلكها..غير تلك العربة رباعية الدفع التي يستخدمها لعمله ....

ضيق ناجي عيناه قليلاً وهو يميل بوجه اليها سائلا بحرص:

"إن لم يعجبك تستطيعي تغييره كما تحبين،أنا فقط أردت أن أمنحك شيء خاص إحتفالا بنجاحك وتحقيق حلمك"

سحبت يدها سريعاً جداً وهي تضمها لصدرها تخبره بتلهف طفولي:

"لا لن أغير شيء إنه ملكي أول هدية خاصة بيننا"

أضافت برقة أذابته ووجها يتألق بشيء أخر أكثر عمقاً:

"أنا لن أخلعه أبداً من يدي يا عنيد..هذا أول شيء تُلبسني إياه بنفسك"

للحظة إرتعش شيء فيه لكنه قال بإنضباط عاطفي بينما داخله يغلى وينازع فقط لضمها والشعور برقتها المهلكة بين ذراعية:

"اذن هو أعجبك،أم لأنه فقط مني؟؟"

لمست الخاتم بعفوية وهي تجيبه ببساطة:

"الاثنان بالطبع ،ولكن لن أستطع إنكار كم هو جميل جداً"

أمسك أصابعها التي تلامس خاتمها وهو يمررها على كف يده بشرود قائلاً:

"لا أحب على من لون الأرض وذرعِها يا عبير،وعندما بحثت عن شيء مميز لأهديك إياه فلم أجِد إلا العقيق الأخضر المميز والنادر مثلك لأقدمة لك"

همست عبير بهدوء مستكشف سائلة:

"من أنت يا ناجي؟!!أعتقد أن من حقي السؤال"

رغماً عنه طفت إبتسامه حنونة على شفتيه وهو يقول طواعية بهدوء:

"أنا كثير يا عبير..رغم إرتياح عائلتي المادي ولكن كنت بكري والدٍي فمنذ حداثة سني وهو يخبرني أن مسئوليتي ثقيلة جداً من بعده،رجل العائلة التي سيدير سفينة الحياة للنجاة بهم..كان يخبرنى أنه قدري الذي لن أستطيع التهرب منه أبداً..منذ ان كنت طفل في الثامنة من عمري وابى رغم حنانه ولكنه كان صارم جداً معي يجهزني لهذا الحمل من بعده، كان يشجعني دائما بقوله أني أهل لتلك المسئولية التي ألقيت على عاتقي..حامي حماهم وحكيمهم عندٍ الحاجة و شديد الصرامة عند الخطر فلا تتهاون بني أبداً ولا تظلم أحدهم"

لم ترد عبير بشيء ومشاعرها تفيض كلها بحنان وإنتماء لهذا الرجل الرائع،عشقته ومدلة في حبه فمتى يحن على قلبها المسكين بمبادرة عشق واحدة جريئة نحوها ،،،يدها المستريحة في كفه ضغطت عليها بحنان فياض تتمنى فقط لو تستطيع الإقتراب منه وطبع قبلة على ذلك الفك الصلب الجذاب،عضت على شفتها السفلى بخجل وهي تخبره بتعقل ناعم:

"حفظك الله لهم أنت أثبت أنك على قدر تلك المسئوليه وأن والدك كان لديه حق في كل ما فعله معك"

صوتها خف بشدة وأصابعها الرفيعة تتسلل لتعانق أطراف أنامله وهي تردف بحبور:

"وحفظك الله لي أنا من كل سوء..يا عنيد القلب"

إعتصر يدها المستريحة في رحاب يديه عصراً وهو يقاوم نفسه..يحاولٍ أن يحجب عن باله ذلك الخاطر المزعج يهدر لنفسه داخليا.

❖ تحرر يا ناجي من خوفك..ما الذي تنتظره من إثبات أكثر ليطمئن قلبك ،وتأخذ خطواتك دون حذر نحو إمرأتك،تشبثها بك وتكرارها لإعلانها حبها دون حذر او خوف منك..أتضن عليها بما منحتك هي إياه رغم صغر عمرها❖

أخرج زفرة حارة مشتعلة والعقل توقف عند صغرعمرها والبيئة التي نشأت بها بطبيعتها قد تجعلها تأخذ قرار مندفع مبهور بشخصٍ جديد على مجتمعهم دخيل على طبقتها..قد تندم لاحقاً على إربتاطها به..قد تخجل منه عندما تحقق حلمها وهذا لن يسمح به كبريائه ورجولته أبداً..سمع تأوها متوجع وهي تقول بصوت مختنق:

"ناجي،أنت تؤلمني حرر يدي من فضلك"

إستدار ناجي بذهول يحرر يديها التي تحاول إنتزاعها من بين يديه رفعها وتفحصها قائلا بلهفة:

"يا إلهي،أذيتك حبيبتي سامحيني سكرتي لم أقصد أذيتك أبداً"

وبدون تحفظ كان يرفع أصابعها المحمرة من أثر ضغطه عليها ويقبلها..

للحظات كانت تنظر عبير ليدها التي يلمسها بطرف شفتيه رغم الرعشة الحلوة التي إجتاحت كيانها..ردت بإستكانه داخلية كما إستكانه خارجياً من لهفته..بصوت مبحوح بدمعتها المعلقة قالت:

"أنت قلت حبيبتي !!"

أبعد يدها عن شفتيه مد كفه الأخرى يربت على وجنتها بحنان يخبرها بلطف بالغ:

"قد نحب أشخاص من صميم قلوبنا ونهبهم أرواحنا..ولكننا لا نحتاج أبداً لبضع كلمات لنعبر عن ما نشعر به نحوهم صغيرتي"

بإصرار ممتعض من رده كانت تقول بعناد مردد:

"أنت قلت حبيبتي،أنا لا أريد أن أسمع كل تلك الكلمات المنمقة المبهمة منك فقط..ردد حبيبتي"

أبتسم ناجي بإستسلام وهو يهز رأسه بيأس..يخبرها بهمس مترافق مع إهتزاز رأسه بمهادنه:

"ليس بالضروري..يا قطعة السكر أن أمطرك بكل كلمات الغزل..لتشعرى بإهتمامي نحوك..بعض كلمات الغزل تقتل الحب في مهده حين تقال ...مازلتي طفلة صغيرتي تحبو بتخبط في طريق عشق الرجال،بيني وبينك الكثير والكثير لتفهمي أن عشقي جهاد وحبي حرب..ووحده

الإبحار في عواصف أشواقنا ما سوف يجعلنا نصل للمحال..حبك هو السرالذي يُمزقني..وأخاف من موته حين يقال"

إرتعشت أكثر وهي تقول بصدمة وعدم تصديق:

"ناجي أنت تقول،هل تعنى حقاً.."

وضع سبابته سريعاً على شفتيها يشتم في سره على تلك اللحظات الحميمية التي جعلته يبوح بأكثر مما أراد ليعود بجموده مرغماً. وهو يبتعد عنها يدير السيارة مرة أخرى منطلق لبيت والدها:

"لقد أطلنا هنا وقد وعدت والدك بإنهاء أوراق التقديم في قسمك والعودة سريعاً..صحيح عبير قد أتغيب عنكم أسبوعين،لدي عمل كثيرٍ في المزرعة ويجب أن أشرف عليه بنفسي..فسامحيني مسبقا على التقصير معكم"

طول الطريق لم يتبادلا،أي نوع من الحديث إكتفت أن تريح رأسها على زجاج السيارة تنظر للطريق بشرود عقب كلماته الجافة التي أعقبها بإعترافه الملتوي..لم تستطع هي أن تحاول معه أكثر لقد أرهق عقلها ومشاعرها في محاولتها الحثيثة لجعله أن يقترب منها..يبادلها إعترافها المتكرر بحبه ويصهر ذلك الجليد الذي يحاول أن يبنيه بينهم بتصميم غريب..وصلت أمام المنزل ونزلت سريعاً من السيارة ناداها بنبرات هادئه مستفزه لها قائلا:

"ألن تمنحيني وداعاً..عبير"

إلتفت له وشمخت برأسها تخبره بقوة غاضبة:

"أخبرتك أن ما بينتا يدعى الى إلقاء..يا ناجي..وعندما تعتذر مني على جفائك الذي تنويه وتخبرني بإبتعادك لا تجمعني مع أبى"

بجنون منفلت كانت تصرخ به قائله:

"ولمعلوماتك أنا زوجتك فلا تحتاج لإذن أحد للإقتراب مني أو حتى البقاء معي بالوقت الذي تريد"

وبدون تباطؤ كانت تفر من أمامه ركضاً الى منزلها .

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مرت ثلاثة أيام لا أكثر على إبتعاده التي أخبرها عنها ولغرابة نفسه وروحه التي أصبحت لا تطيق البعد عنها،وجد نفسه يرسل لها إحدى سياراته بعد أن أخبر والدها أنه يريدها معه يوماً واحد تقضيه معه في المزرعة وأستاذه لم يحتاج للتفكير مرتين بمنحه الموافقة وأخبره بثقة نابعة من داخل الرجل:

"هي زوجتك يا ناجي وأنا على ثقه أنك ستحميها حتى من نفسك..إن لزم الأمر"

وصلت السيارة الى داخل ربوع مزرعته الشاسعة وتقدم اليها دون تكلف ببعض ملابسه المهترئة التي تماثل ملابس العاملين لديه..مخبرا نفسه بقوة..

❖أخر إختبار لك عبير لتشاهدين الرجل الذي تصرين على حبه على طبيعته..يا أخذتِ قرارك بالابتعاد وفررتِ هاربة

لعالمك المثالى،،يا تشبثتي بصلابة رأسك وأثبتي عشقك بتقبلي كما أنا..لأفتح لك ذراعي أخيراً دون هواجس وإستسلام للذوبان فيكِ سكرتى..❖

هبطت من السيارة سريعاً تقف أمامه برقتها المعتادة ترتدى بنطال بسيط من الجينز الباهت،وبلوزة فضفاضة بيضاء مطرزة بخطوط وردية و شعرها البني متدرج الألوان بتباين مُلفت عقدته على هيئة ذيل حصان مظهرها البسيط غير المتكلف جعله يبتسم لها برضى تام وهو يتقدم منها ليحيط كتفيها بحنان غير متردد يخبرها مرحبا:

"مرحباً بك..المزارعة إزدادت نور بوجودك،يا جميلة المُحيّ"

ضحكت بحبور وهي تخبره بتألق:

"إشتقت اليك"

منحها نظره بطرف عينيه وهو يخبرها بهدوء:

"أنت لست غاضبة من أخر مقابلة بيننا..كنتِ ساخطة عليّ"

بهدوء مماثل لهدوئه كانت تجيبه بفطنة:

"لقد منحك قلبي السماح فور أن علمت أنك تطلب رؤيتي..في النهاية أنت لم تستطع البعد عنل كما أخبرتني ببرودك الذي يثير جنوني"

أبتسم ولم يجيبها و أشار لذلك البيت الصغير الأنيق الذي وقفت أمامه السيارة وقال:

"لدينا حديث مطول صغيرتي،ولكن الأن إذهبي لترتاحي من مشقة الطريق فلدى بعض الأعمال سأنهيها في الأرض وأتي لمجالستك"

تحررت منه بلطف وهي تقول بتعنت وإصرار:

"أنا لست متعبة وأتيت هنا للجلوس معك أكبر وقت ممكن لذلك سأتي معك."

لم يجادلها في الأمر وقد طلبت بنفسها ما كان يريدها أن ترا..ه عمله الشاق وسط أرضه ... وقد فعلت هاهي تجلس منذ ساعات تكتفي بمراقبته..وهو يشارك العمال بنفسه في جني ثمار الكوسة..

وكان من وقت لأخر يسترق النظرات اليها عندما يعتدل بجذعه الضخم ليمسح بطرف قميصه قطرات العرق بسبب أشعة الشمس الحارقة ...رأت الجميع يرتدي تلك القبعة الضخمة من سعف النخيل ...إلا هو وكأنه يستلذ بتلك الأشعة التي تنعكس على بشرته السمراء فتلفحه بحدتها وتصبغ بشرته بلونه الداكن فتزيده جاذبية لعينيها..دق قلبها المراهق بدوي هادر لعل متحجر القلب يسمعه ويشفق عليه..قطع تأملها وهو يقترب منها يطل عليها من علو في جلستها في بقعه مظللة جيدا وسط أشجار الموالح..لقد إختار هو تلك البقعة بنفسه سابقا وقام بفرش بطانية على الأرض ليحميها من أشعة الشمس وطين الأرض..إبتسمت له إبتسامة حلوة فور أن رأته رفعت رأسها وعيناها تتألق له بمشاعر لا يمكن الخطأ

فيها...قضمت شفتها السفلى..وهي تشير له بيدها أن يجلس جانبها بصمت..إرتعش فكه وكأنه يكافح نفسه كي لا يتأثر بها كعادته معها هز رأسه بالرفض الصامت..محت إبتسامتها سريعاً وهي تعود لتضم يدها في حجرها..أخفضت رأسها تنظر ليدها المعقودة بتوتر وعيناها تبرق بالدموع رغماً عنها..لا تعلم سبب هذا الرفض منه..وتشبثه بوضع المسافات بينهم ...جلس القرفصاء أمامها مد يده يرفع وجهها اليه بطرف إصبعه سمعت صوته الرخيم يراضيها قائلا:

"العمال يملؤن المكان عبير..ولن أستطيع صغيرتي أن أسمح لأحدهم أن يتحدث عنكِ إن رأنا هكذا"

إرتعشت شفتاها وهي تخبره:

"المشكلة لا تكمن في العمال ناجي..أنت دائماً ترفض الاقتراب منى وعجزت أن أعلم السبب"!

إبتسم معتذراً منها لن تستطيع يوماً أن تفهم أسبابه..يعلم أنه ربما يظلمها بتجنبه الدائم لها..ولكن هو يخشى عليها من نفسه من إندفاع مشاعره..بل يرتعب أن تندم يوماً على إرتباطها به..يعلم أحلامها الكبيرة بأن تصبح طبيبة يوماً ما او ربما أستاذة جامعية كما والدها ...يخشى عليها وعلى نفسه أن تستهين بمهنته ومكانته..فقط لأنه تاجر خضار وفواكه ولا ينتمي لطبقة المهن المخملية؟!تجنب الرد وهو يمد لها ما بيده يخبرها قائلا:

"هل سمعتي من قبل بنوارة الخضار ؟!!"

أغمضت عيناها بيأس منه لتجيبه بحشرجة بكاء تجاريه فيما يفعل:

"لا ما الذي يعنيه هذا؟!"

إبتسم بهدوء وهو يفرد كفه الأخر أمامها لترى بعينيها ثمرتي كوسة صغيرتا الحجم ليقول وهو يخفض يده وتلتقط أحداهم قائلا:

"هذا يعني القطفه الأولى من أي نوع خضار صغيرتي..دائماً تتميز بطعم مسكر..مختلف لن تستطيعي تذوقه يوماً عبر الشراء من المحلات او حتى مهما أبدعتي في طهيها"

أقرن كلامه وهو يرفع الحبة الصغيرة أمام شفتيها ليدعوها أن تتذوقها:

أبعدت وجهها عنه وهي تقول بعدم رضى:

"لا أنا لن أكل هذا الشيء هكذا"

لحظات تجمدت أطرافه تماماً وإنمحت تلك الإبتسامة الساحرة من على وجهه الخشن ليخفض يده سريعاً من أمامها وهو يتصنع المرح قائلا:

"لديك حق عبير..فالثمار غير نظيفة مثل يد صاحبها"

توسعت عيناها بصدمة وهي تردد ذاهله:

"ماذا..ما الذي تقوله أنا لم أقصد هذا أبداً"

أدعى عدم الاهتمام وهو يشب على قدميه مرة أخرى قائلاً:

"لا يهم عبير ماذا قصدتي ولكن يجب أن تعلمي..أني طلبت من والدك مجيئك هنا خصيصا لتري بعينيك ما أنا عليه فكري جيداً..وأنتِ تنظرين لي أعمل في الأرض هذا سيكون شكلي الدائم عبيروتلك اليد المتسخة التي يصبغها السواد من جني الثمار ستكون بهذا الشكل أغلب الوقت..حكمي عقلك بقرارك وقارني بين معطفك الأبيض الذي تسعين اليه وبين مظهر هذا الرجل الذي أمامك"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ليلاً

منذ أن ألقى هذا الأحمق عليها خطابه الغريب والإختيار وهي لم تستطع ان تنفرد به تخبره أنها إختارت منذ أن وقعت عيناها عليه..ألا يشعر جبل الجليد هذا ذو العقل المتحجر كم يتقافز نبضها عند رؤيته..لقد كانت مكشوفة للجميع في عشقها له..لماذا لم يستطع رؤية عيناها التي تذوب عشقا بمجرد النظر لوجهه ذو الملامح الخشنة..كيف لم يشعر بإرتعاش قلبها بين أضلعها ودويه الهادر لدقاته..تذوب بكل تفصيلة فيه تحلم بذلك اليوم الذي ينهار فيه ذلك الجدار المتين بين ذراعيها ويحيطها بظلال عاطفته..إبتسمت بشقاوة وهي تنظر له من بعيد وهوواقف أمام قناة مائية علمت أنها محفورة من قبل والده لتصل لجميع أرجاء المزرعة لتسقي الأرض بسهولة..بدون تردد كانت تقترب من البقعة التي كان يجنى فيها الثمار في الصباح..قامت بقطف حبة واحدة بعشوائية وإتجهت مباشرة اليه تتسلل بخفة الى أن وصلت وراء

ظهره..تسلحت بكل قوتها وهي تمد يديها بجراءة وتحتضنه من الخلف..لثوان معدودة تصلب جسده بين ذراعيها شعرت بيديه تقبض علي يديها بنوع من القوة وهو يقول بجمود:

"عبير ما الذي تفعليه بالضبط ؟"

كانت في حالة لا تسمح لها بالتراجع ومصممة على صهر هذا الجليد بينهم أخذت نفسا عميقا وقالت بصوت أجش:

"أستخدم حقي الطبيعي ناجي بالإقتراب من زوجي المتعنت..إن كان يرفض أن يأخذ خطوته نحوي..فأنا من ستجبره على الإقتراب"

فك يدها بحزم ليلتفت اليها وهو يقول بصوت مكتوم:

"زواجي مِنكِ بطلب من والدك لحمايتك..وأنا لن أقترب منك يوماً كما رأيتي في الصباح لن نناسب بَعضُنَا"

لم تمنحه الفرصة وهي تقترب منه أكثر تلتصق به وترفع يده أمام عينيه الذاهلة تقبل كل صابع على حده لتختم قبلاتها وهي تقبل باطن يده قائله بخجل:

"فارسي الأحمق متى ستدرك عشقي المجنون بك؟! متى تعلم أني لا أرى غيرك..أنا أحبك ناجي..أحبك بكل ما أنت عليه..فمتى ترحم قلبي وتشعر بعاطفتي"

قضمت شفتيها بقوة وهي ترفع عينيها الدامعة لتخبره بإستسلام:

"أنت أمنية تجاوزت تعريفها . . .أنت عشق حلمت به قبل أن أراك حقيقة..فكيف تعتقد أن إختلاف الطبقات كما تتدعي من الممكن أن يجعلني أترك دعوتي لله التي تحققت بك؟!"

رمش بعينيه مأخوذ بما تقول..مصدوم بما تفعله..مذهول بذلك العشق الذي ينبض من كل حرف تنطق به..لم يستطع التفوه وجسده الضخم يرتعش تأثرا بها..ذلك الجسد الحريري الذي يتشبث به لا يعلم متى إمتدت يده الخائنة تطوقها بقوة ليدفنها بين حنايا صدره يزرعها بين أضلعه..تأوهت بدلال وهي تفك إحدى يديها وفردت كفها قائله أمامه:

"عندما رفضتها في الصباح أنت لم تفهم يا أحمق أنا لم أتذوق مثل هذا الشيء من قبل وفقط كنت أتدلل لتحايلنى قليلاً"..

معذبته..كيف يستطيع أن يخيب أمالها ويتشبث بحصونه في حضرتها بكل تلك المشاعر الفياضة..حررها من إحدى يديه وهو يلتقط منها الحبة قائلا بعاطفة منفلته:

"أعتقد أن لدي طريقة جيدة لتشجيعك لتذوقها"

إرتعاشة لذيذة تسللت لقلبها وجنون تملك بكل عضله في جسدها لا تعلم ما الذي حدث معها وهي تراه يضع طرف حبه الكوسة بين شفتيه ويقترب منها بعينين عاشق شبت على أطراف أصابعها تستقبل عطاياه طواعية أوقفت عقلها كما هي تجذم أنه فعل..فقط تستمتع بسكون الليل حولهم

وشعاع القمر الذي ينعكس على سطح الماء بجانبهم هسيس الشجر حولهم يجعل جسدها كله يرتعش بين ذراعيه..وتلامست الشفاه وسكن جسدها هي على صدره..تستلذ بتأوهه مع كل تعمق منه في تقبيلها يتوغل أكثر في إمتلاكٍ قلبها..يجتاح أرض أعلنت هي منذ أن عرفته أنها ملكاً له يرسي كل أشرعته بين ربوعها..لم تعي طعم الحلاوه التي يتبادلاها من قبلتهم هل هي لحبة الكوسه كما أخبرها أم طعم مشاعرهم الملتهبة إنفصل هو عنها فأنت برفضٍ لقطعه تواصلهم فيعود مبتسم وبأنفاس مشتعلة يقبلها قبل متفرقه يخبرها من بينهم..

"أه يا قطعة السكر..عندما أطلقته عليك سكرتي لم أتخيل أنه حقيقتك.."

رفعها اليه وأطبق عليها طرفي عبائته يئن بلوعة وهو يقبل عيناها جبهتها..يخبرها

"يا حبة السكر..أنت من كنتِ نجمة عالية في السماء..ولا أعلم متى سكرتي أراد القدر أن تهبطي لتكوني بين ذراعي"

ردت بحلاوة وهي تندس فيه تتشبث بطرفي العبائة الذي يطبقها عليها قائله:

"بل أنت يا كوكبي من إصتدمت بتلك النجمة المجنونة وأرفقت بحالها لتجعلها تنتمى لسمائك"

تأوه أكثر وهو يقضم طرف ذقنها:

"كيف تجيدي هذا الكلام يا صغيرة كيف تتلاعبين على أوتار القلب هكذا وتعزفي نغماته ليسلم لك طواعية"

تعالت ضحكاتها وحاولت الإبتعاد عنه..فغمرها أكثر بين أضلعه قاومته بدلال..إرتفع فمه الممتلئ وقضم تلك الشفاه التي حرمها على نفسه..تذوق وإستلذ بسكرته فعوض تلك الشهور من التخيل والحرمان..أقامها هو حول نفسه..طوقت سكرته عنقه بكلا ذراعيها لتبادله قبلته الجامحة بتخبط وبراءة تجعله يفقد عقله..وببطئ جلس بها على الأرض وفرد جسدها الغض بين الأشجار العالية ضمها أكثر اليه وستر كلاهما بعبائته..رفع وجهه عنها ينظر اليها بعينين مليئة بمشاعر جياشه يخبرها بصوت مختنق:

"أنا أحبك سكرتي..لم أقاومك ولم أقصد تعذيبك ولكن أخاف عليك صغيرتي..أخشى عليك من خيبة أمل أو ندم..عبير أنا.."

مدت إصبعها الى شفتيه لتمنعه من الحديث قائله:

"أصمت أرجوك لا أريد أن أعلم شيء أيها الضخم العنيد.."

تورد وجهها وهي تدفن رأسها في عنقه تهمس له:

"فقط ردد حبي مراراً وتكرارا دعني أستطعمها منك كما تلك الكوسة الصغيرة"

مال عليها بجذعه يحتويها بين ذراعيه وداخل عبائته وأطبق على فمها بقبله..متقد المشاعر قبل جيدها وكتفيها ونحرها تلمسها دون سيطرة او هوادة..حرر شفتيها وهو

يحدق فيها لاهثاً ونيران الرغبة تلتهب في عينيه الداكنتين وجسده الضخم يرتجف إثارة وهو يستشعر كل ذرة أنوثة في جسدها تلتصق بجسده حتى كاد أن يتوحدا في جسد واحد..فقاوم نفسه أن لن يمتلكها هنا في التو واللحظة بين ربوع أراضيه وبين طرفي عبائته التي فردها يوماً يستقبلها فيها فقط لحمايتها..نظر الى عينيها البندقيين فأخرسته تلك العاطفة المطلة منها ووجهها المتورد وأنفاسها لاهثه مثله..فلم يستطع إلا أن يعود يلتقط تلك الفاكهة التي حرمها على نفسه..عندما فقد سيطرته تماماً على نفسه إنفصل عنها يخبرها متألماً:

"الأن أوقفيني..الأن يا قطعة السكر لن أسامح نفسي أن أذيتك"

أطلقت شهقة قصيرة ناعمة وهي ترمش بعينيها البريئتين..غير مدركة لتألمه من قربها فهمست مستنجدة منه وله:

"ناجي..أنا لا أفهم كيف تؤذيني"

عاد يغمرها بين ذراعيه وهي يقول بصوت مبحوح من أثر تضخم مشاعره:

"الرحمة..سكرتي الرحمة على قلبِ ذاب فيك عشقاً"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مازالت أمه على محاولة إثنائه عن إتمام زواجه من عبير..حتى وهو يرتدى بدلة عرسه السوداء الأنيقة..وفوقها

عباءته السوداء المطرزه بخطوط ذهبيه !! ويفصله بضع ساعات عن الذهاب للقاعة المقام فيها زفافه؟!

"أنا لا أعلم سر تمسكك بها دون كل البنات التي أتيت لك بهن،ليناسبن مكانتك"

بهدوء متفهم كان يجيبها ناجي:

"وهل إبنة الأستاذ منصور حفني أشهر وأنزه محامي في البلد أماه،ليست مناسبة لي؟!!"

بنزق وقوة كانت تجيبه (حميدة):

"أنا لم أقل في مكانة أبوها شيء،ولمن هي بالذات لا تناسبك ولن تتحمل،عيشتنا،أبنة مدينة يا ناجي،لم تنشأ على أصولنا وعادتنا،لم تعرف معنى عزتنا ولم يشب عدوها وسط أرضنا لم تلفح بشرتها البيضاء المدللة نار شمسنا لتكتسب القوة والاحتمال والجلد الذي تمتاز به نسائنا"

جسده تصلب وعيناه كانت تنضح برفض لحديثها،ليقول بحزم مدافع:

"وأنا لن أعيد حديثي أمي،أنا أعرف من إخترت جيداً وأثق أها ستتأقلم من أجلي على أي وضع توضع فيه"

بغضب أهوج كانت تجيبه حميدة:

"والله أنها أكلت عقلك يا كبير العطارين،ولأول مره أخبرك أنك أسأت الإختيار"

رفع ناجي كفيه يفرك وجهه بضيق متمتم:

"لا حول ولا قوة الا بالله"

سيطر على أعصابه وهو يحاول يحتوى غضب أمه يمسك رأسها يقبلها قائلاً بمهادنه:

"لم يا حجة حكمتي عليها بسوء الإختيار..أنت لم تتحدثي معها إلا مرتين طوال فترة الخطبة،ولم تفعل ما يجعلك غاضبة منها هكذا الفتاة هادئة ورزينة،ولا تختلف عن أخوتي تربية يدك في شيء"

هتفت أمه وهي تبعد رأسها عنه بتزمر قائلة:

"كلها لا تعجبنى لم تكن هذه من أتمنها لك،أنا لا أصدق تلك الهالة الملائكية التي تحيط نفسها بها،وعلى يقين أنها ستهرب بعيد عنك عند أول عقبه تقابلك"

بهدوء متعقل كان ناجي يحاول أن يجعلها تتفهمه تشاركه فرحته القريبة قائلا:

"منذ موت والدي يا حجة وأنتِ سلمتيني إدرة كل أمور حياتكم و تثقين بقراراتي دون نقاش،حتى من قبل موت الحاج إسماعيل رحمه الله وأنا أخذ على عاتقي مسؤليتكم،فلما الأن تقفي بوجهي..وبليلة عمري تعلني أنى أخطأت ؟!"

أخذت حميدة نفس عميق تنظر لولدها المتمسك بزوجته منذ إعلانه غير قابل النقاش للزواج من الفتاة وهي تحاول ثنيه عنها ولكن كل محاولتها أتت بالفشل الذريع..أردف ناجي وهو يقبل يديها قائلا بإرهاق مستجدي عاطفتها:

"كل ما أريده منك يا أمي،أن تباركِ فرحتي بعروسي..تقفي بجانبي وتشاركيني سعادتي منذ متى خيبت ظنك لأفعلها الأن مع من منحتها إسمى!!"

ربتت حميدة على كتفه تخبره مستكينه:

"لطالما أردت لك الأفضل يا ناجي،وأنت بكل عنفوانك ومكانتك بيننا يا حبيب أمك..أنا لا أعارضك بني ولكن كنت أريدها منا حتى يستريح قلبي"

بنبرات قاطعة كان يخبرها بحسم:

"عبير هي من تليق بي،لن أَجِد أفضل منها،ولن يريح قلبك غيرها فإطمئني أمي وأمنحيني مباركتك حتى أتوكل على الله ولا أتأخر على الناس أكثر"

طاوعته حميده دون جدال أكثر تعرف ابنها،وتعلم أن ما في رأسه سينفذه دون إلتفاف لأحد رفعت يديها بدعاء صادق:

"وفقك الله يا حبيبي وخيب كل ظنوني وجعلها قدم الخير عليكِ"

عندها فقط استطاع ناجي أن يزفر بأنفاس مرتاحة وإبتسامة رزينة متحفظة تملأ وجهه..

عندما كانوا على وشك المغادرة أوقفته أخته حنان قائله:

"لا تقلق من كلام حميدة تعرف تيبس رأسها،أردت أن أخبرك أني وأخواتى البنات،نحب الفتاة،ولا نرى غيرها تليق بك"

هز ناجي رأسه بتفهم يحمد الله بداخله،أن أخواته تقبلوها من أول مرة،عكس والدته،ليطمئن قلبه عليها لا يريدها أن تشعر برفض وسطهم،وكله أمل أن يفي بوعده لوالدها،وأن لا تشعر بالوحدة أبدا..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كانت تقف في منتصف حديقة بيتهم الذي إشتراه ناجي وأسسه على ذوقها الخاص كل صغيرة وكبيرة في البيت أصر أن تكون من أختيارها هي،،تراقب أبيها الذي يسر لناجي بشيء ما لم يصل لمسامعها بعد أن ودعها وسط دموعه المترقرقه في عينه،لم تستوعب بعد إصرار ناجي على إتمام الزفاف..وهي في أول شهر لها في الجامعة وللغرابة لم ينقاشه أبيها حتى في قراره،إنها لم تعد تفهم تصرفات والدها ولا تستوعب كيف وافق على زوجها في سنها الصغير هذا تذكر انه كان دائما يمازحها قائلا انه لن يتركها إلا أن تنهي جامعتها وتأسس عيادتها الخاصة وبعدها سيفكر في الامر..

همس منصور بصوت معذب مختنق وهو يراقب بهاء إبنته في ثوب عرسها تنظر اليه من وقفتها:

"استودعتك إياها،إنها حصاد عمري الذي خرجت بها من الدنيا،لا ترهق قلبها،ولا تصيب محياها بالحزن،زهرة قلبي أزهرها وغذيها بحنانك ولا تجعلها تذبل أبدا كما وعدت"

مال ناجي على كتفي أستاذه يقبلهم بإعتزاز وتقدير يخبره بوعد رجولي قاطع لا يقبل الشك:

"في عيناي يا أستاذي،مكانتها لا تقل عن مكانتك،و نسبك وثقتك سأحيا عمري كله أحملها جميل فوق رأسي..

غامت عينا منصور بالألم عندما فاجأته عبير مرة أخرى ترتمي بين ذراعيه تخبره:

"سأشتاق اليك أبي هذه أول مرة أنفصل عنك"

ليخبرها منصور بحنان يكبح ألمه الخاص من فراقها:

"وأنا سأفتقدك يا قلب والدك،عبير كما أوصيتِ ناجي عليك . أوصيك أنتِ به حبيبتي،حافظي على بيتك،وأطِيعي زوجك،وفقك الله بنيتي"

وبدون تباطؤ كان ينفصل عنها مرة أخرى..يستقل سيارته ويودعهم مغادراً !

.....

"الزفاف كان أكثر من رائع،في الحقيقة لم أتخيل أن يكون بكل هذه الفخامه"

كانت تقولها عبير بوجه بشوش مبتسم تحاول فك هذا الصمت الذي لفهم منذ أن دلفو لداخل المنزل . . .

صوت ناجي الرخيم كان يجيبها قائلاً بنبرات غامضة لم تفهمها بوضوح:

"اذا لم يزعجك،بعض الضيوف الذين يرتدون (جبة وقفطان وعمامة)"

عبثت عبير بشدة وهي تجيبه ممتضعة من سؤاله:

"هل عدت لترديد هذه الاسئله بالله عليك لم قد يزعجني الأمر اذا كان زوجي وفخري يرتدي ما يشابهم"

أردفت بتأفف وهي تتحرك بفستان زفافها الواسع فيصدر حفيف ناعم:

"ناجي أرجوك لا مزيد من تلك الإختبارات،والكلام المبهم فأنا متعبة من التجهيز للزفاف ،بجانب إصرارك أن لا أنقطع يوم واحد عن جامعتي."

تقدم ناجي منها يديرها اليه برفق يتفحص وجهها هادئ الزينة وفستان الزفاف البسيط جدا والمحتشم،إعتقد يوم إختيارهم إياه أنه سيواجه صعوبة في إقناعها بفستان مغلق لا يظهر منها شيء ولكنها كعادتها صدمته بإختيارها المحتشم دون تدخل منه..تفهمه وتراعي أصولهم وأعرافهم دون حتى أن يخبرها أو يطلب منها"

بصوت أجش خافت كان يقول:

"إن كنتِ متعبة تستطيعين تغير ملابسك والخلود للنوم صغيرتي"

قضمت عبير شفتاها بخجل وهي تقترب منه تمسك بأطراف معطف بدلته قائله:

"أمممم لست متعبة لدرجة الخلود الى النوم ليلة زفافي،من رجل أحلامي"

راقبت بتأثر كيف غامت عيناه في موجة مشاعر عميقة مفعمة بعاطفة جياشة..منذ أن إنفرد بها في منزلهم وهو

يقاوم نفسه فيها وعنها..ينازع لعدم الاقتراب منها عيناه التي تراقبها بإنبهار،منذ أن وقعت عليها عندما سلمها له والدها وهي تختال بجمالها الناعم شديد الرقة القاتل..وهو قلق يتهرب منها..منذ أن إنفجرت مشاعره في المزرعة وإعترف لنفسه قبلها بحبها حتى اللحظة لا يعلم كيف قاوم نفسه وإبتعد عنها بإرادة حديدية،ألا يُبخث أبداً من قدرها أمام نفسها قبله فتمنى لنفسه ليلة زفاف يكرمها بها وتصبح حلاله بمباركة والدها وأمام كل البشر ،ولكن الأن،لا يستطيع حتى الإقتراب بداخله مشاعر عنيفة هادرة..وحشٍ رجولى يطالب بأخذ حقه منها ويقاومه هو بشراسة حرصاً عليها..

همست هي بصوت خافت ونبرات حلوة مدللة بالفطرة:

"ناجي،أين ذهبت يا ضخمي العنيد ؟؟"

للحظات ومضت عيناه ببريق عنيف متوحش ليبعدها عنه فجأه خلع سترته يلقيها على كرسي جانبي بعنف وهو يقول بصوت مختنق فظ :

"غرفة النوم الرئسية انت تعرفي طريقك إذهبي عبير وغيري ملابسك ونامي أو أي ما كان ستفعلينه لك مطلق الحرية"

همست من وراء ظهره مستعطفاه ألا يخذلها:

"وأنت ألن تأتي معي؟؟"

إبتلع ريقه الجاف بتوتر قائلاً بنبرات متصلبه:

"بعد وقت سألحق بك"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بعد وقت طويل كانت مازلت تدور في الغرفة الأنيقة بتوتر،تحاول فهم ما يحدث معه ألا يكفيه خوفها الخاص في ليلة مثل هذه،ليزيدها هو بما يفعل،غشاوة من الدموع ظللت عيناها،وهي تجهل بكل أسبابه وسؤال حائر أصبح يطبِق على أنفاسها..لما يحاول أن يبعدها عنه،ألايريدها حقا؟لتعود تنفي لنفسها بقوة والذكرى القريبة لإنصهارهم سويا في المزرعة وإعترافه بحبها،يُطمئن هذا الفكر المتحير لقد قالها لم ينكر حبها،ولم يتمهل لحظه في مبادلتها عاطفتها التي قدمتها له طواعية ...بنزق كانت تلتف حول نفسها لتنزع الفستان عنها فتدور في دائرة مفرغة ولم تستطع أن تصل الى السحاب،توقفت وعيناها تنظر لصورتها في المرآة ببطئ إقتربت تتأمل نفسها،تتذكر كلمات ناجي أثناء الزفاف وقبله الأسيرة من يوم معرفتها به الذي يردد (سكرته،قطعة السكر،ويحبها ولا يقصد أذيتها) ضاقت عيناها بأصرار ووجنتيها تشتعل بخجل على ما قررت فعله،خرجت تتهادى وفستانها يصدر حفيف رقيق مثلها،رفع ناجي رأسه المشتعلة بأفكاره نحوها أغمض عيناه بقوة وهو يريح رأسه مرة أخرى على وسائد الأريكة التي يتمدد فوقها في تلك الغرفة المفتوحة في الممر الذي يربط غرف النوم ببعضها ،وضع معصمه فوقه عينيه بتشدد يحجب عنها نيرانه لعله بعدم رؤيتها،يستطيع ان يقاوم نفسه..جلست عبير بهدوء بجانبه مباشرة،تراقب جسده

الفارع المشوق وصدره الصلب الظاهر من تحت قميصه المفتوح حتى خصره،ارتفعت يدها بخجل شديد ولكن بأنوثة هادئة واثقة مندفعة تلمس عضلات صدره مباشرة برقة فراشة مهلكة النعومة له..برودة لذيذة صارت على عمودها الفقري وهي تستشعر إرتعاش جسده فور أن لمسته:

بصوت خافت وكفها لا يجرؤ على التقدم أكثر قائلة:

"هلا ساعدتني في نزع الفستان أنا لم أستطع فالسحاب بالخلف ولم أستطع أن أصل اليه وحدي"

تنحنح قليلاً قبل ان يأتيها صوته مضطرباً حين أجابها:

"إستديرى قليلاً"

بشيء من التردد كانت تتحرك من مجلسها تعطيه ظهرها ،رفع يديه بثبات يفتح السحاب بهدوء شديد وتمهل أشد،وبطرف أنامله كان يمررها بإستكشاف مثير متمهل لبشرتها المكشوفة إرتعشت كلها إستجابة وخرجت منها تنهيدة مستمتعة بمشاعرها الجديدة ما أن وصلت لنهايتها حتى عاد يبتعد سريعاً وعاد لإستلقائه السابق قائلاً بخشونه زائفه:

"لقد إنتهيت،تستطيعين الان تغيير ملابسك"

إستدارت مرة أخرى تتأمل ملامحه الخشنة وعيناه الجميلتين،الحادتين بنظراته الصقرية لتخبره بقلق مهتز وهي تعض شفتها السفلى بقوة:

"هل فعلت ما أزعجك؟!"

أجابها بصوت مبحوح بعيد وعيناه تحدقان في عيناها الغير واثقه من تصرفاته:

"أنتِ لا تزعجين أي أحد..ولكن يبدو أني أنا الذي أزعجك"

مالت برأسها تطل عليه بحيرة قائله:

"اذاً ما بك حبيبي،ولما تحاول أن تبتعد عني؟"

تطلع اليها بشيء من الكأبة قبل أن يقول بنبرات مترددة حريصة:

"خائف عليكِ يا روح ناجي،مرتعبِ من أذيتك،رقتك هذه وعودك الهش يزيد جنوني بكِ فلم أجِد حلا إلا أن أبتعد"

فتحت فمها لتقول هامسة بشجاعه معترضه:

"هذا ظلم لكلينا،هلٍ تعلم لم ضربت بعرض الحائط كل شيء ولم أنقاش أبدا في تقديمك لموعد الزفاف ؟!"

سرعان ما سألها دون حذر وطغيان وجودها حوله كان أكبر من تحمله أو تمسكه بجنونه في الابتعاد عنها:

"لما عبير ما هي أسبابك؟!!"

عضت شفتيها أكثر لتخبره همساً برقة مربتكة:

"لأني كنت سأموت وأجرب الشعور الأثر الذي تذوقته بين ذراعيك في المزرعة مرة أخرى،بعد أن توقفت أنت عن تكرارها لحمايتي كما أخبرتني"

ما إن أنهت جملتها حتى سمعته يتأوه بصوت مرتفعٍ وهو يسحبها بعنف غير مقصود يمددها على جذعه قائلاً بصوت مثقل بالعاطفه:

"يا الله يا عبير،أنت حقاً أجمل النساء، بل أرق النساء،يا قاتلة ببضع كلمات تهمسيها ببرائتك الشجاعة تلك"

أرتفعت يده تحيط وجهها يخبرها بلهفة موجعة:

"وانا يا عيون ناجي،سأُقتل للشعور بك مرة أخرى بين ذراعي لضمك تحت ضوء القمر لتتوحدين معي في مشاعر مندفعة خاصة بين طرفي عبائتي"

أتسعت شفتيها تبتسم له بدفئ وحديثه المدله يكتسح أعماقها،ويسيطر على كل ما فيها لتمنحه دون خجل او تحفظ لتهمس بصدق أوجعه:

"أنت تسللت لداخلي، أصبحت الهواء الذي أتنفسه استعمرت قلبي منذ أول وهله وقعت عيناي عليك فيها حبك أسر كل كياني،وحياتي أصبح لها معنى بوجودك"

،وبسكرها المُهلك كانت تهمس لتزلزل كل كيانه وتحطم كل حصونه:

"أنا أحبك ناجي"

للحظات كان يحدق فيها مبهور مرتبك متأثرا ليتحرر حرصه أخيراً،وتطغى عليه الرغبة الخالصة التي زادت من دقات قلبه يرفع وجهه نحوها يلتهم شفتيها المتباعدة بقبلة كانت أكثر من كافية لتصلها كل مشاعره لتختصر

كل كلام العشق الذي في العالم بسمفونية عذبة من المشاعر الزخمه..كان يتلمسها دون هوادة يسحقها أكثر وأكثر حتى إستشعرته يريد أن يقحمها بين أضلعه..في لحظة ما شعرت به يعتدل وهو يطوق خَصرها بتشدد يتحرك بها بخطوات متسارعة متعثرة..دون أن يرفع وجهه عن عنقها الذي يغرقه بقبلات مجنونه بعاطفة ثائرة..لحظات من التخبط لكليهما حتى شعرت به يمددها برفق على السرير وحررها ليبتعد عنها ينظر لها بعينين سوداوين سلبت لبها ،إبتسمت مرتعشه ويدها ترتفع تلامس فكه العريض بعيون ذائبة ليعود هو يمرغ شفتيه في وجهها ورأسه ينزلق يمررها في بشرة نحرها يمطر جيدها بقبلات منفلته محمومة ،طوقت عنقه بشدة تستكشف معه تلك العاطفة التي أنستها حتى نفسها ولا تعي شيء إلا أنها معه ،في وقت ما أحست به زاد جنونه وعنفوانه وهو يجذب فستان الزفاف بقوة مزقته ينزعه عنها بخشونة غير مراعي لرقتها ،للحظات فقط شعرت بالخوف والتردد وإنكمش جسدها بين يديه ليجعله يفيق قليلاً من جنونه ويتوقف لحظات فقط كانت تتحرر هي سريعاً من قلقها تشجعه بدفء عينيها اللوزين تنهدت مستسلمة تهمس مرتجفه بنعومة ولكنها قوية واثقه فيما تريد:

"ضخمي العنيد ورجلي الوحيد أح..ب.ك"

عندها صرخ.وقلبه ينتفض وإحساسه بالحاجة اليها يتأجج بعنف أكثر جنوننا علم أنه أنهي صراعه وأخذ خطوته دون

تمهل أو تردد يخبرها بصوت هادر عنيف بمشاعر جياشه متحرره من كل قيد:

"عبير،(دوبينى ودوبى) يا قطعة السكر "

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

فتحت عيناها ترفرف بأهدابها ببطئ تتثائب وهي تتقلب في الفراش بكسل،إبتسمت عندما شعرت بأنفاسه الساخنة تلفح بشرتها ويده تحاوط وجهها،يميل عليها يتلمس أنفها بطرف أنفه..يخبرها بصوت أجش خافت:

"صباح مبارك ،يا ست الحسن"

فتحت عيناها ووجهها يتورد خجلاً لتقول متعلثمة رغماً عنها:

"صباح النور،هل أنت مستيقظ من وقت طويل"

طرفِ ابهامه إرتفع يضغط على ذقنها لتنفرج شفتيها قليلاً ليميل يقبل تلك الشفة السفلية العريضة التي تزيده جنونا للمسها ليقول من وسط قبلاته المتقطعة:

"أنا لم أنم من الأساس،فقد إكتفيت بمراقبتك،بعد أن تهربتي أنتِ مني في غفوة بين أحضاني"

تلعثمت بإربتاك وهي تخبره:

"لم أهرب،ولكن الإرهاق تمكن مني،حتى أنني لم أدرك متى غفوت"

رفع وجهه عنها يخبرها بلطف:

"أنا أمازحك فقط سكرتي لا تهتمي"

إعتدلت تشد الغطاء عليها تخبره بذات الإربتاك والإستحياء الذي جعله يتعاطف معها:

"أريد،أريد"

صمتت وكأنها لا تعرف ما تقوله..

شدها بلطف يعيدها مكانها يفرد أحد ذراعيه التي تسللت تحيط خَصرها العارة تحت الغطاء يضمها لتلتصق بجانب خصره وهو يقول برتابة:

"مازال الوقت مبكّر جداً عبير إبقى قليلاً معي"

ليضيف مازحاً:

"الى أن تتبيني ما تريديه تحديداً"

وبطاوعية كانت تندس في صدره تخبره ضاحكة:

"أنا لم أتعود على أحد يربكني ناجي،وأنت تجرف كل ثوابتي وتطيح بكل قواعدي،حتى أني أنسى من أنا وماذا أريد الا وجودك أنت وانت فقط دون العالم أجمع"

مال فمه بإبتسامة جذابة مهلكة وهو يخبرها:

"وأنا لا أريد،إلا أنتِ بجانبي الى الأبد."

تألقت حدقتيها بطريقة تسرق الأنفاس وهي تمد كفها تتلمس وجهه وتنزل بتمهل بطيء لعضلات صدره أمسك

ناجي كفها بين أصابعه يبعدها عنه بلطف بالغ وهو يقول بنبرات جديدة حذرة:

"أريد التحدث معك في شيء هام يا عبير وأثق في رجاحة عقلك التي أثبتيها أكثر من مره"

بإهتمام سألته غير مبالية بتغيره المفاجئ:

"ما هو حبيبي..أسمعك"

إستدار ناجي ينحني لطاولة صغيرة بجانب الفراش يلتقط شيء ما وعاد اليها يأخذ نفس عميق وهو يفرده أمام عينيها

نقلت نظرتها بين يديه المفرودة ووجهه بحيره تسأله:

"ما هذا بالضبط ؟؟"

أخذ ناجي نفس عميق وهو يقول بجدية:

"وسيلة لتأجيل الحمل"

إعتدلت عبير منتفضة تهتف بذهول:

"ماذا،ولم قد تمنحنى هذا الشيء؟ ما الداعي له من الاساس يا ناجي ؟!"

إعتدل ناجي يجلس قبالتها يمسك كتفيها بقوة ويخبرها:

"عبير اهدئى من فضلك،واسمعينى جيداً..أنا لن أجازف بحمل يحدث الأن ويشغلك عن دراستك ."

بترت رفضها في وجهه وهو تسأله:

"وإن رفضت الأمر هل ستجبرني؟!"

بهدوء متشدد كان يخبرها بنبرات غامضة:

"كل شيء لك فيه حق الإختيار ولن أجبرك أبداً ولكن في هذا الأمر نعم سأجبرك لأنك لا تملكي حق تقريره وحدك"

تراجعت عبير الى الوارء ترفع ساقيها تضمهما الى صدرها محيطتها بكلا ذراعيها..ودمعة حائره تطرف عيناها فتحاول هي حجبها عنه بقوة..تقاومها لعدم الهبوط..تهز رأسها بالرفض لأمر تجهل سببه وغير مقتنعة لأسبابه..تحركت عاطفته نحوها وهي بهذا الضعف ومظهرها الذي يجعله يراها طفلة صغيرة جدا وهشة جداً جداً..فإقترب بتلهف يضمها بين ذراعيه ويشدها الى صدره يدفع رأسها لترتاح على نبضات قلبه يخبرها بتعقل:

"مازال سنك صغير جداً،على تحمل مسئولية بيت وأطفال وزوج،وأنا كنت وعدتك ووالدك ونفسي قبلكما أن لا أجعل شيء أبدا يعطلك عن تحقيق حلمك"

همست هي بصوت مختنق تحاول مجادلته:

"ولكن،ما تطلبه لم يكن في حساباتى ناجي أنا أريد؟!"

أزاحها برفق وهو يمددها على الفراش ويمنحها تلك الحبه بين شفتيها مباشرة قائلاً بهدوء حازم مسيطر:

"إن كنتِ تثقين بي،لا تجادليني وأثبتي صدق شعورك نحوي"

فتحت فمها ببطئ وتردد تتناولها دون جدال رغم الألم المبهم الذي يعصر قلبها..

أغمض ناجي عيناه للحظة وكله يتمزق بما أجبرها على فعله ولم يعلم كيف أقترب منها يبثها مكنونات قلبه الملتهبة بعشقها يقبل وجهها بلهفة محمومة محتاجة لها:

"لمصلحتك،ستشكريني يوماً ما على فعلها"

طوقت هي عنقه بكلا معصميها تومئ بموافقة مترددة تخبره:

"فقط أحبني ناجي،ولا تبتعد عني،بثني ذلك العشق الذي تحاول أن تداريه ربما أتفهم رفضك لحملي (طفلك)؟!"

تنهد هو بحرقه وهو يفقد السيطرة التامة على نفسه ولم يجد إجابة واحده..يستطيع بثها حبه الشغوف وعشقه المدمر لها إلا إمتلاكها....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بعد شهرين

شهقت عبير بنعومة عندما شعرت بيديه تتسلل لخصرها ترفعها عن الأرض بضع سنتيمترات..وقبل حاره تغرق جانب عنقها وتصعد لخصلات شعرها المرتاح على كتفيها إستعادت سيطرتها سريعاً على نفسها وهي تقول بتبرم:

"ناجي..لقد أخفتني،منذ متى تتصرف بتهور وعدم مسئولية هكذا.."

للحظات طويلة لم يرد..ليخرج صوته أخيراً وهو يعيدها الى الأرض دون أن يتركها قائلاً بصوت أجش:

"لقد (توحشتك) يا إبنة الأستاذ، مر يومين ولم أراكِ يا مهجة القلب"

مالت عبير بدلال وهي تنظر للطعام الذي تقلبه على المقود تخبره بعتاب ناعم:

"أنت من أصريت على عدم إصطحابي وتركي عند أبي"

أمال برأسه يطبع قبلة على وجنتها هامساً:

"جيد أنك ذكرتيني لم عدتي ولم تنتظريني لإصطحابك؟"

أطرقت عبير برأسها وهي تشرد في البعيد لتجيبه بحيرة:

"في الحقيقة لم أعد من نفسى،أبي أصر على أن أعود اليوم،ولن أكذب عليك ناجيٍ قلبي مقبوض منذ فترة عليه،ولا. يعجبني مظهره أبدا ويتعمد أن لا يبقى في صحبتي فترة طويلة"

أرخى ناجي أهدابه وهو يقول بزفزة مهمومة مكتومة يحاول ان يلتزم بوعده لمنصور:

"ربما قضية ما هي ما تشغل باله هكذا وتجعله يتصرف بغير طبيعته"

"أتمنى هذا يا ناجي،فأنا قلقة عليه جداً"

إنحنى ناجي يرفع يدها التي تمسك بالمعلقه الخشبية التي تقلب بها الطعام وهو يحاول تذوقها مشتت تفكيرها قائلا:

"لا تقلقي وتفائلي بالخير دائماً يا روح ناجي..أممم ماذا تطبخين؟"

شدت المعلقه من يده بعناد وهي تقول:

"إنسى لن تتذوقه إلا أن عوضتني عن يومي غيابك."

همس هو بخشونة:

"ألا يكفيكِ..أنى تركت كل شيء وأتيت قبل إنتهاء العمل،أن كان هناك عدل فأنتِ من يجب أن تعوضيني"

إلتفت له بدلال وهي تطوقه بأحد معصميها تسأله:

"وأنا أبنة أستاذ قانون وزوجة تاجر،وهذين الجزئين يتنازعا بداخلي لمنحك التعويض العادل،وتمنحني أنت المقابل"

لم يستطع منع إبتسامته وهو يميل يهمس بجانب أذنها بشغف:

"ألا أستحق حضن كبير واحد منك يا أبنة الأستاذ"

عضت شفتيها بدلال وهي تقول بمشاغبة:

"تستحق أحضان وليس واحد ولكن بعد أن تتناول الطعام،ألا ينتابك الفضول لتعرف ما هو؟!"

جارها في الحديث قائلاً:

ما هو أخبريني ؟؟"

بعفوية كانت تجيبه بعكس عيناها التي تمتلئ شقاوة:

"كوسة مطبوخة،ومحشيه وكوسة بالشاميل وأيضاً مخلله وو"

لم تستطع أن تكمل حديثها وهو يرفعها عن الأرض بقوة يهدر بها بغضب مصطنع:

"وهل قصرت أنا معك يا عبير لتطبخي كل أنواع الكوسة؟ خطأ كبير في حق كبير العطارين،،ويجب أن يصلح في الحال"

أرتفعت ضحكاتها الهادرة التي تلف أرجاء المنزل بدوي رنان وهي تخبره بتقطع:

"لم أقصد هذا يا عنيد،كانت مزحة أتركني سيحترق الطعام ولن تجد ما تأكله"

كان يتحرك بها الى غرفتهمٍ وهو يحملها بين يديه..ليخبرها وهو يغمز بعينيه قائلا بجذل:

"لا تقلقي على طعَامِى لدي وجبة دسمة،،ومثيرة أكثر من حبات الكوسة خاصتك ولن أدخرجهد ولا طاقة حتى مطلعِ الفجرفي تعويض وليمتي عن غيابي قبل ان ألتهمها تماما:

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كان يقتحم منزلهم كالمجنون يكتسح كل ما في طريقة دون وعي يصرخ بصوت جهوري مرددا أسمها:

"عبير،عبيييير"

قاوم دموعه منذ ساعات،رغم توقعه للأمر منذ شهور ومحاولته تجهيز نفسه لكنه،لا يصدق أنه حدث بالفعل..عندما إستدعاه منصور..منذ ساعات،وهو يُكذب

ذلك الشعور الذي قبض على صدره..الغم سكن أعماقه والحزن الموجع الذي زلزل كل جباله الراسخة بوجع تمكن منه حقيقية..وأستاذه الغالي ينازع مع سكرات الموت بين يديه وهو يقف عاجز يراقبه بعيون دامعة ...من أخر كلماته قال منصور خرجت مع حشرجات روحه (إبنتي،،لا تفرط في أمانتي)

لم يستطع البقاء فور مغادرة روح منصور الحياة ووجد نفسه يأتى اليها يكاد يفقد أنفاسه رعباً عليها،،بعد علمه أن سكرتيرة والدها الغبية فقدت أعصابها وأخبرتها دون وعي أو قصد..

توقف عند باب المطبخ المكشوف يلهث بإنفعال يراقب جلستها الجامده تماما على أرض المطبخ تطوي ركبتيها تحتها ويدها تسيل منها الدماء تمسك فنجان مكسور بتشدد تنظر الى هاتفها المتناثر على الأرضية بعيون عاجزة مذهولة برعب رفعت وجهها اليه فور أن شعرت به..ملامحها مزقته أرباً همست حروف أسمه بخفوت هش مستنجد:

"ناجي،ما أخبروني به كذب أليس كذلك"

أقترب منها وهبط على ساقيه وبلحظة كان يشدها بقوة لتسكن بين أحضانه يدها المليئة بالدماء أرتفعت تتمسك بقمة ملابسه تهمس بضياع وإختناق قاتل تخبره مكذبة:

"هذه مزحة سخيفة،أرجوك قل أنها مزحو سخيفة،ما قالته سكرتيرة أبى،كذب يا ناجي"

ضم جسدها المرتجف أكثر بقوة يبتلع ريقه بصعوبة يخبرها بحزن:

"عبير هذا قضاء الله ويجب أن تكوني أقوى من هذا،من منا يملك أجله"

روحها كانت فارغه تماماً وهي تبتعد عنه بشراسة تصرخ بوجع مزقه خرجت من صمتها وكأن تأكيده كل ما كانت تحتاجه:

"أبيييييي،كذب لن يتركنيٍ منصور وحيدة،لن يموت دون أن يودعني بل لن يفعلها أبدا أنت تكذب مثلهم"

عاد ناجي يكبل كلا ذراعيها الذي أخذ في التهور وهي تخبط في نفسها بعنف يهدر بجنون مماثل لانفلاتها:

"إستغفري الله يا عبير الأعمار بيد الله"

كانت تتخبط بين يديه بعنف أظافرها تنبش في ذراعيه بشراسه عيناها تتوسع بنظرات ذاهلة غير مستوعبة..جسدها كله ينتفض بالتضامن مع رأسها الذي يهتز برفض قاطع يصرخ بأنين خافت ووجع كامن ممزق بمرارة:

"أبي حبيبى لن يفعلها،أنا..لقد وعدني دائماً وأبدا بعدم تركي وحيدة،فكيف يفعلها الان ؟"

كانت نظراتها كما مشاعرها تتأرجح بمشاعر قاتلة متوجعة ثائرة وضعيفة عاجزة،حتى عن التعبير عن وجعها الذي كسر كل شيء داخلها،سواد كان يحيط

بعالمها فيحجب عنها..رؤية ما حولها،لا تشعر بمن يتمزق بجانبها ويكاد يجن للسيطرة عن إنفلات جنونها من عقاله..وجعها وخيبتها وفقدانها،كل ما تملكه في دنياها

...وبلهفه موجعه قاتله كان يحاول بثها أمان لم تستوعبه:

"تركك لي،أنا هنا معك،أنت لست وحيدة حبيبتي تماسكي عبير أنتِ أقوى من هذا."

كانت كالمغيبة وهي ترفع له عيونها المطفئة من كل بريق للحياة تخبره بأنين قاتل وصوتها لم يكف عن الصراخ تدب على قلبها بأنفلات:

"أنا مت،كلي مات،هذا مات يا ناجي"

عادت تقول بتلهف غير مترابط لوجعها وكلماته المستسلمة:

"خدني الى أبي،أريد أن أراه أن يضمني أن يمنحني حنانه،أن يكرر في أذني أنه لن يترك زهرة حياته أبدا"

□□□□□□□□□□□□□□□□

كان يجلس على طرف السرير يمسد على شعرها بشرود ويده الأخرى تمر على الضمادة الواسعة التي تغطى جرحها الغائر الذي يشمل كفها كله تنهد بتعب..وهو ينظر الى ملامحها التي أصبح يغلفها الحزن والكائبة سويا وجسدها الضعيف الذي فقد جزء كبيرمن وزنها ليجعلها تزداد هشاشه..منذ أسبوع مضى وهي لا تحرك ساكن لا تتحدث ولم تقبل أن تأخذ عزاء والدها،تذكر صراخها الذي مزق

نياط قلب كل من حضر الجنازه..كاد يجن عندما أفلتت من بين ذراعي والدته وعمتها لترتمي على كفن والدها قبل إنزاله لقبره..صرخت بأنين متوجع قاتل أن يأخذها معه،تلتفت له هو تتوسّله أن يدفنها معه ؟! تصلب كفيها وهو يضمها بشدة يبعدها عنه..أغمض عيناه بقهر عظيم،وحزن لم يسمح له بالظهور،كان يحتاج لكل ذرة تعقل وتجلد..في الأسبوع الماضي لينهي مراسم العزاء والجنازة،هز رأسه بأسف وهو يطرق بنظراته الى الأرض يضع مرفقيه على ركبتيه وجسده كله يتصلب لقد أثبت أستاذه انه كان على حق في قلقه الشديد والجازم بإستغلال إبنته من أقاربها ،،لقد أخبره أقاربها بعد ثالث أيام العزاء أنهم يريدون حقهم الشرعي في الرجل غير مراعين لجسده الذي لم يرتاح في تربته بعد ،ولا إبنتهم الوحيدة في دنياها من بعد أبوها،،توحشت نظراته وأصابعه ترتفع تعانق بعضها وهو يتخلل شعره بعنف يكاد يقتلعه غضب وأسف عليها ،لم يسأل أحدهم حتى عنها،حتى عمتها..غادرت فور إنتهاء العزاء وهي تخبره مع باقي الأقارب..أنها تنتظر موعد توزيع المال بينهم ولم تعد حتى للسؤال عن إبنة أخيها التي لم تفق من غيبوبتها الإرادية..

طرقت على الباب..إنتبه من شروده إبتلع ريقه وهو يعود ليسيطر على إنفعاله يخبر أمه برباطه جأش:

"تفضلي أماه.."

إقتربت والدته لتجلس بجانبه وهي تنظر لعبير بتعاطف قائله:

"وبعدها يا بني،هل سيستمر الحال هكذا،إعرضها على طبيب او حتى أذهب بها لمشفى سنفقدها هكذا"

رفع ناجي نظراته طويلاً بغموض يتفحص والدته ليقول:

"هل تهتمي حقاً بها يا أمي،غريب"

خبطت حميده كفيها على بعضها وملامحها تتوشح بالغضب المكتوم تجيبه:

"وهل ترى أمك بلا إحساس يا ناجي،ما الغريب و(البنية) أصبحت زابلة وفقدت كل معاني الحياة"

زفر ناجي بضيق وهو يعود بنظراته اليها دون رد وأردفت حميده بعاطفة أمومية وهي تقترب منه تربت على صدره تعترف رغماً عنها قائلة بفطنة وركيزة:

"أنت كنت تعلم بمرض الرجل ،لهذا كنت متمسك بزواجك منها مهما حاولت إقناعك"

هز ناجي رأسه ببطئ ولم يرد ونظرته تشرد تتفحص جسدها المستكين..تنهدت حميدة بيأس وهي تخبره:

"أياً كان ردك يا ناجي،فقط إعتني بها وإسمح لي بني أن أقدم لك عوني وأقف بجانبك في تلك المحنة"

أخذ ناجي نفس عميق وهو يحاول سبر أغوار أمه قائلاً:

"وما سبب كل هذا التقبل والحنان المفاجئ لها أمي؟!!"

شهقت حميدة بأستنكار وهي تقول:

"لم يكن العشم يا ولدي تشكك بأدميتي بني،وما الذي قد أريده،،الفتاة أثارت عطفي،،في النهاية أنا لدي مثلها وقد رأيت إنهيار صغرى إخواتك يوم موت والدك..وأشعر بما تمر به زوجتك"

أومأ برزانه وثقل ولم يرد..قبل أن تكمل والدته حديثها..كان هو يشعر بيد عبير تتمسك به بهشاشة شديدة..

سمع صوتها يخرج ضعيفا باهتا متقطع دون حتى أن تفتح عيناها:

"ضمني،،أحتاج لأحضان أبي،،"

تعانق الألم في صوتها مع نبرتها اليائسة وهي تردف بشهقات متوجعة متوسلة:

"ضمني يا ناجي فأبي لن يستطيع فعلها أشعر بالبرد وخواء الروح فجزء مني مات..فهل تستطيع أن تُحييه بإحتضاني"

وقفت حميدة سريعاً مبهوتة بمشاعر عجيبة تنظر لولدها بعيون خطها الزمن بالحنكة:

تمتمت مغادرة دون كلمة تمنحهم الخصوصية التي يحتاجنها قائلة:

"أعانك الله يا حبيبي على عدم ظلمها،اقترب منها بني وإمنحها ما تحتاجه..الفتاة روحها فيك ولم يعد لديها غيرك"

لم يرد وهو يسحبها بقوة من نومتها ليغمرها كما طلبت في رحاب صدره الواسع يلملمها كلها بلهفة قاتلة..يخبرها ببحة وقد غلبته مشاعره اليها:

"أنا هنا..با روح الروح،،بجانبك سأعيدك يا عبير كلك"

قربها لعمق صدره أكثر يلمس أعلى رأسها بشفتيه يخبرها برجولة دافئة فياضة بالحنان:

"أنتِ مهمة..مهمة جداً يا عبير،بل أنت كل شيء..أدفع عمرى كله لأزيل عنك الهم..محنة شديدة يا عبير وسنتخطاها سويا"

كانت لا تعي كل ما حولها فقط لا تشعر الى بدفئه الغامر للبرودة التي أصبحت تغلف خواء قلبها..رفعت عيناها الذابلة ببطئ تنظر له بلونهم الجميل الحزين فتاهت منه خفقات قلبه بينما تهمس له بشجن حزين جعل أشواك من نار تنغرس في روحه:

"قلبي يؤلمني،أشعر أنى مت معه ودفنت هناك وسط ظلمات قبره الذي أخذه مني..روحى ماتت يا ناجي"

ضمها أكثر حتى لم يصبح هناك مساحه للمزيد،،وهي كانت تقوّص جسدها أكثر غير معترضة على ذلك الألم الطفيف الناتج عن قسوة تشبثه بها..يدها تسللت تحاوط خصره بقوة ورأسها يعود لتدفنه في تجويف عنقه..تخبرها بصوت متقطع:

"تزوجتني بطلب منه يا ناجي،لتحميني وتقف بجانبي،لم يدفعك حبك لي كما حاولت إيهامى،،لهذا كنت تحاول أن تبعدني عنك بإيهامى بمظهرك (المهمل) والذي لم أعرفه فيك بعد زوجنا"

صوتها خف بنبرات أكثر مرارة وشهقاتها خرجت عالية مرغمة وهي تقول:

"لهذا رفضت أن أحمل طفلك ياناجي،،"

هز رأسه برفض ليعود يبتلع ريقه يخبرها بحزم قاطع:

"هذا غير صحيح،لم يجبرني أحد لزواجى منك،وهذا ليس وقت الكلام يا عبير،،إستردي عافيتك ولنا حديث طويل"

شهقة فلتت منها ليهتز جسدها لتعود تستسلم لغمره إياها بحزن عميق غير مصدقة او مبالية بأياً ما يقول . . .

لقد فهمَت متأخرا جداً سبب كل أفعاله للبعد عنها ورفضه له

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مر شهر أخر

منذ ساعات يتقلب على صفيح ساخن..يحاول أن يستجدى عدة ساعات من النوم،،بشق الأنفس و ككل ليلة تبؤ محاولته بالفشل فمعذبته منذ أن إستطاعت العودة لممارسة حياتها المعتادة بشكل روتيني رتيب وهى تجافيه وتبتعد عنه..منذ أسبوعين وهى تبيت مع أمه فى غرفة الضيوف..بعد علاقة وطيده أصبحت تربط بينهم،،أعتدل

من نومه يظفر بضيق ووجهه يكفهر،وأطنان من الخوف والهم تثقل قلبه ومشاعر عنيفة تهفو لضمها مرة أخرى بين ذراعيه..عيناه كانت تضيق بعاطفة عنيفة وهو يأخذ قراره بالذهاب اليها..خرج مندفع يتوجه الى الغرفة التى يتواجد بها كلتهما..وبنفس الإندفاع كان يخطو بدون تردد وعيناه لا ترى إلا هى..تنكمش على نفسها بقوة وتحتضن بكلا ذراعيها خَصرها بحنان وحرص ؟!

إنحنى يضع إحدى ذراعيه تحت ركبتيها والأخرى يوازن بها جسدها وبدون تردد لحظة أخرى كان يرفعها ويضمها اليه..للحظات فقط رمشت بعينيها،نظر لها بعينين ساخطتين حذرتين..تنهدت بهشاشة تثير الشفقة ورفعت ذراعيها بوهن تتعلق بعنقه وتدفن رأسها فى صدره تطلق زفرات ساخنه بأريحيه..همس بعاطفة رجولية حنونه ووجهه يطل عليها:

"إشتقت إليكِ مهجة قلبي كيف إستطاعتي البعد عن أحضاني؟!"

إختفى كليهما من أمام أنظار أمه المراقبة التي مد يدها تمسح دمعه خائنة نادمة على وقفتها يوما فى وجهه سعادة إبنها..لم تكن ستغفر لنفسها أبدا أن أطاعها ناجي فيما أرادت،،فمع ضعف الفتاة وتخبطها وتعلقها بإبنها علمت أن كليهما يكمل شيء في الأخر:

"إنها تؤمة روحك بني التي ساقها النصيب اليك"..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ضمها اليه فقاومته بتخاذل وهمست معترضه:

"ناجي توقف،،أنا متعبه"

فهمس هو بأنفاس وحشية عنيفة مشتعلة:

"وأنا أحتاج الشعور بك..يا سكرتي،،"

بعيون ذابلة ضعيفة كانت تهمس بهشاشة لتصدمة:

"أنا ،،أريد طفل يثبت جذوري الضعيفة في أرضك يا ناجي"

للحظات كان ناجي ينظر اليها من علو دون تركيز حقيقي لفهم طلبها..سيطر على نفسه وهو يخبرها بأنفاس متشنجة لاهثه:

"لقد تحدثنا سابقاً،،فى هذا الأمر،،ولم أغير رأي وقتها..كما لن أغيره الأن"

تشنجت بين أحضانه وهى تدفعه عنها بإرتعاش:

"إبتعد عني ناجي،لا أريدك،ولن أسمح لك بلمسي مرة أخرى دون أن أفهم لما تزوجتنى"

إعتصرها عصرا وهو يعيدها تحت ضغط جسده ليهدر بإنفعال ومشاعر عنيفة متفجرة:

"لأنى أريد،،لم أرغب إلا أنتِ،،لأني أرى فيكِ كل عالمي،إنسي يا عبير كل شيء،،ولا تفكري غير أنكِ معي.."

مشاعره العنيفه جعلتها تستسلم لإنفلاته الذى جن بها لتسلم بذلك الشوق القاتل والهوس الجديد عليها براحه

فتدفن نفسها فى عنقه تغرقه بقبلات حارة ملتهبة يأسه ودمعة فلتت منها تغرق عنقه الذى إلتحم به شفتيها قائله:

"أنا أحببتك جداً،،سامحني ناجي"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

شتم بصوت مسموع وهو يغادر بيتٍ والدها..يكاد يجن..لا بل هو جن كلياً منذ إستيقظ صباحاً، بعد أن قضى ليلة يبثها غرامه الصمت..فكانت ليلة ملتهبة عاصفة متبادلة جارفة بشوق لم يتبادلاه حتى ليلة زفافهم..لقد ظن أن حياتهم ستعود ببطئ لطبيعتها ليصدمه برود ذراعيه الخالية من دفء قاتلته ....

رن هاتفه ليخرجه من جيبه يحاول تمالك أعصابه وهو يرد على والدته التى أتاه صوتها ملهوف:

"هل وجدتها بني طمئن قلبي الملتاع"

أغمض عيناه وهو يحاول ان يجيبها بصوت مكتوم:

"لا أم لقد بحثت عنها في كل مكان ولم أَجِد لها أثر،حتى صديقاتها لم يراها أحدهم منذ موت والدها..

غصت أمه بدموعها وهى تخبره:

"لا حول ولا قوة إلا بالله،،لو تخبرني فقط ما الذي حدث ؛ لقد رأيتكم ليلاً مثل السمن على العسل وإعتقدت أن أحدكم بث تؤمه أوجاعه"

تتوحش ملامح ناجي بخاطر ساخط حانق حاول أن يبحث عن الخطأ فيما فعل ولا يجد إجابة وافية لقلبه الذي فقد نبضاته ويئن ألماً من إختفائها..صوتها الهادئ أتى من بين ربوع ذاكرته يهمس:

"إشتقت لأبى،،كم أتمنى أن أجلس في الريح الذي يضمه ؟!"

سريعاً كان يصعد الى سيارته ينطلق من أمام بيت والدها الوحيد الذى تبقي لها من ميراثها وعيناه تضيق بإدراك وهو يجزم انها متواجدة عنده..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لما لم تخبرني أنك من دفعته للإرتباط بي أبي،ولما خبئت عني مرضك..وأبعدتني عنك في أصعب أيام حياتك..لمست شاهد القبر..وضعت جبهتها هناك على باب الحديد تهمس مستغفرة:

"سامحنى يا الله..اغفر لي أبي لم أقصد أن أعاتبك أو الاعتراض على القدر..ولكني أموت أبي،وما يذبحني أن من سكن القلب لا يشعر به"

شعرت بيدين قاسيتين حازمتين تضمها داخل عباءة رجالي تغمرها بلهفة ونبرات متوحشة تهمس بشراسة بجانب أذنها:

"ربما لأنه إكتشف أنك غبية وهوإعتقد أنك أذكى النساء اللاتي قابلهن بكل شكل ولون طوال حياته.."

بعتاب مداعب كان يردف يراعي صدمتها التي جعلتها تتصلب بين ذراعيه:

"من سكن قلبك،،أنت إجتاحتي كيانه..زلزلتي جباله الشامخة وحطمتي حصونه التي ذابت بقبلة واحدة من ثغرك،،وتجرأتي للقول أنه لم يشعر بك"

همست بصوت ضعيف:

"كلام..مجرد كلام تحاول أن تطيب خاطري به"

نهض ناجي يرفعها معه ولم يحررها من بين طرفي عبائته التى يدفائها بها..يخبرها هامسا برفق:

"سنتحدث بعيدا عن هنا..لن نزعج والدك بقلة عقل إبنته ونخيب ظنه فيها"

بعد وقت

همست عبير قائلة وهى تلتف حولها في ظلام:

"أين نحن ؟؟"

أوقف ناجي السيارة وهو يستدير نحو باب عبير يفتحه وهو يحملها بين ذراعيه مرة أخرى قائلا:

"مكان هادئ ولطيف نستطيع التحدث فيه وحدنا..دون تدخل أحد يا سكرتي."

كانت عبير تنظر حولها بإربتاك وهى تراه..يخطو نحو كورنيش النيل ينزل عبر درجات سلم طويلة بخطوات متوسعه..

يتجه نحو (يخت،صغير) قفز بخطوات رشيقة ويديه تتشبث بها أكثر،وفور أن أنزلها على سطح المركب كان يعود يشد المرسى من على الشاطئ..ويعود يسحب يديها معه نحو كبينة داخلية بصمت..وبدأ الإبحار الذي إستمر وقت طويل..لم تقدره ،،فقط تكتفي بمراقبة وجهه المتجهم وجبينه المعقود..وقف محرك المركب وهو يلتفت اليها وإقترب منها بكسل غريب عيناه السوداوين تلمع بغموض قاتل..شدها بعنف يفتح أطراف عبائته التي تلتف بها ليحشر نفسه معها ويديه تتسلل ترفعها من خَصرها يهمس بحرارة جانب أذنها:

"الأن ستخبريني عن سبب الجنون الذي حدث..هل تعلمي بمعانتي منذ أن إكتشفت غيابك عني؟"

حاولت أن تتملص منه تهرب من حضوره الطاغي الذي يشل تفكيرها فتخبره برعشة قلب هاربه من بين أضلعها:

"أنا لم أعد أريدك بعد الأن،وسأكرر هروبي منك طالما أستطيع ."

شفتيه مرت على طول وجهها يدعى الخوف وهو يقول:

"تتركي ضخمك العنيد،،يا إلهى،بالتأكيد سيُقتل حياً يا مهجة القلب"

غصت بشهقات بكاء تخبره،،لا تسخر مني،ما أقوله صحيح جداً وسأفعله"

عاد بها على الأرض رفع ذقنها بطرفِ أنامله..مال يلامس طرف أنفاها بإنفه وهمس بصوت مبحوح:

"كاذبة..يا أبنة الأستاذ التى تحدتني..كاذبة يا سكرتي التى ذابت بين شراين قلبى،،يا حبيبة تجري مجرى الدم فى عروقي فتختلط بأعصابى وتشاطرنى روحى"

فغرت شفتيها الباهتتين تخبره بتعجب غير مصدقة لما يهمس به:

"هل تعنى ما تقول أنت تعترف بحبي،لن تنكر يا ناجي لن تعود لإغلاقه حول نفسك،،عاد صوتها يتهدج ويديها تتمسك بمعصمه مستنجدة بالذى يمسك بأطراف صدغها:

"لقد أرهقني حبك جداً وأتعب قلبي ولم يعد بي طاقة لمحاربتك،ولا أجِد بي روح لتقبل تلاعبك بي ناجي"

صمت وفمه يقترب يلامس بخفة شفتها السفلية يقضمها متأوها بخشونة وهو يقول معترف لنفسه و لها:

"لهف قلبي على قلبِ ذاب فىّ..وأنا كنت من الغباء أن لا أصدق عشقه،ملعون أنا يا نبض الروح ؛أنا لم أطيع ذلك الخافق الذي وقع أسير عينيك فور أن إصطدم بهما"

أنفاسها تتحشرج..تخرج من صدرها بصعوبة مهلكة ويدها الأخرى تطوق خصره تتشبث فيه من سقوط محقق فقدميها أصبحت كالهلام لا تستطيع حملها..

فأكمل هو ويده تهبط تسند خَصرها وجبهته تستند على جبهتها مازال أنفه يلامس أنفها وفمه يراوغ أمام شفتيها

المستسلمة..فيطاوعها و يهبط ببطئ..ببطئ مع جيدها الذى يتهاوى من عاطفته المعترفة:

"سأجيبك على كل أسألتك المعلقة يا نور العين،لم أنكر حبك ولم أعاندك،كنت خائف أن أفقدك،،كنت مرتعب أن أكون مجرد نذوة لطفلة حلوة، تسعى لتسرق قلبى وتدهسه بعدها غير مكترثة،،كنت أحترق بمخاوف أكبر أن تستخف بي إمرأتى التي عصفت بكياني على غفلة وإحتلتني كلي فى هفوة.."

صمت لبرهة وكلاهما يهبط على الأرض يجلس بركبتيه يديه حررت خَصرها ورفع كفيه يطوق وجهها بينهما ،،يكمل إعترافه يبثها سر جموده:

"سر تكرارى لتقارنى بينِ وبينك،مبالغتي لترينني في أسوأ صوري،لجعلك تأخذي قرارك دون رجعه.."

هز رأسه ووجه يبتسم بخشونه جذابه خَطره أخبرها:

"ووافقتي يا عبير وفور دخولك مملكتي وتسليم كل ذرة فيكِ طواعية لنيراني،،وقعتي على صك إمتلاكك الأبدى ،،تخبريني الأن بتركي"

همس بصوت خافت أكثر نعومة وبشراسة منفلته:

"تحلمين يا أبنة الأستاذ لن أكون تاجر إبن تاجر لأترك شيء ملكي يفلت مني،،وجعل إمرأتى التي أحب تبتعد عني"

عاطفته المتدفقة مع حالتها الحاليّة كانت تشعرها بالضياع..الضياع والتيه..تأوه مخنوق خرج منها وإرتعاشه

قوية إنتابت جسدها. بينما ذراعيه الرجولتين تضمها أكثر فتتدخل ركبتيها المضمموتين بين ركبتيه فيسيطر عليها كلها يحتويها بجنون ويخبرها بهدر أفلت منه:

"والدك لم يجبرني على شيء،بل كان حريص على تكريمك،،كل ما فعله أن ساعد كلينا لتألف قلوبنا في الحلال،،والدك أشفق على قلب تلميذه المسكين ومنحه زهرة حياته وجوهرة عمره"

تراجع بها على أرض المركب الباردة يخبرها ببحة مزدحمة المشاعر النارية:

"أخبرتك يوماً أن حب الرجال لا يحتاج لإعتراف متكرر،أن جهادنا فى الحب يكون صامت،،أبلغ أنواع حبي للكِ صغيرتي يكون بالأفعال لا الأقوال..حبك يا عبير هو سري العظيم وعشقك هو كل ما ملكته في حياتي وخوفت أن أفقده..في الحقيقة يا توأم الروح..بعد أن سكنت اليك و سكنتي اليّ لا قدرة لي أبدا على فقدانك.."

خفت صوته تماماً ومال اليها يمددها تماماً تحت جذعه الضخم الذي يغطيهاو يديه تعبث بسرعة ماهرة بملابسها ويده الأخرى تمتد تغطي تعانقهم بعبائته..فيميل فمه بعبث يخبرها بمشاغبة ثقيلة حلوة:

"لطلما حلمت بإمتلاكك بين طرفي العباءة منذ حادثة المزرعة يا سكرة..ويبدو أنه حان وقتها الأن"

همست هى ويدها المربتكة تحاول ان تنهيه عن فعلته وتتمسك بذرة تعقل بينهم وهى تخبره:

"لا تتهور إبتعد،،هذا جنون جنون"

فكان رده قبلة عنيفة تسحق شفتيها بذلك الفارق المتباعد المثير بينهم يخبرها بلهفه نارية واثقه:

"وما أحلى الجنون معكِ يا ابنة الاستاذ وما أروع التهور الذي علمه لي حبك الذى لم يكن يوماً في الحسبان..لحظة مجاذفة معكِ تساوى عمري وما فيه.."

فتعاند هى وروح تحدى شيطانية منتقمه من رزانته وتحفظه معها تجتاحها لتهتف بتحدي بجانب أذنه ويدها ترتفع تنغرس فى خصلات شعره السوداء الكثيف:

"أنا حامل،،لم أخذ تلك الحبوب السخيفة غير شهر واحد وضربت بكلامك عرض الحائط،حتى وإن لم تريد أنت،أنا أريد حمل جزء منك بين أحشائي أريد طفل يؤنس وحدتي التى عِش□□."

خرست كلامتها وهى تشعر بأنفاسها تُفقد وعينها تتوسع بصدمة .عندما أطبق عليها يلتهم كل ما فيها دون هوادة

يصرخ بجنون وشفتيه تأبى أن ترتفع عنها:

"ماذا قلتِ؟؟ أعيدها يا قطعة السكر"

فضحكت ودموعها تسيل سعاده..لا تفهم رد فعله ولا تستوعب عدم غضبه فتمسك بوجهه بين يديها تمطره بقبلات على تلك الشعرات الخشنه للحيته الغير حليقه تصرخ:

"أنا حامل منك رغم أنفك،،أحمل بين أحشائي جزء منك..يخالط دمائي ويُصنع من قلبي إبنك،،روحك تختلط بروحي لتنتج فى النهائية ولدك"

لم تعي بعدها..كم مر من الوقت وهو يتقلب بها على الأرضيّة الخشبية يتحدى معها ويسافر كليهما لعالم أخر خاص بهما لينهل هو سكرة القلب ويذيب قطعة السكر بين ظلال جنونه وخاطر واحد فى عقله

(حاول أن يتمهل ليحافظ على ولي عهد الذى أتى رغم أنفه)

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بعد مرور قرابة الأربع سنوات

تضحك مبتهجو..وهى تراقب ناجي بكل وقاره وهدوئه ؛ يلاعب أبنتها الشقية صاحبة الثلاث سنوات..فتؤكد فقده عقله وهي تجري بين أولياء الأمور الذين يحضرون حفل التخرج الخاص بدفعة التخرج لكلية علم النفس . . .عيناه تحيطها بإبتسامة متوسعة فخورة..ويده لم تقف عن التصفيق الحار لحظة منذ أن صعدت لتقول كلمة الشكر التى بالطبع خصته بها وحده مازالت جملتها العفوية التى خرجت من القلب ترن فى أذن الحاضرين جميعهم..

نزلت عن المنصة تتهادى ببطنها المنتفخ الذي يحوى إبنتهم الثانية..وفور أن وقفت أمامه كان يقترب منها يُقبل رأسها بوقار يخبرها بهدوء:

"مبارك يا دكتورة اليوم فقط وفيت وعدي لكِ ولأستاذي"

بعقلها الذي أثره كانت تخبره بدلال رقيق مثلها:

"أنت وفيت بوعدك منذ شرفتني بحمل إسمك،يا ضخمي العنيد"

هزرأسه يأساً وهمس بجانب أذنها بخفوت حريص:

"أي عناد يا صلبة الرأس،وأنا رفعت رايات إستسلامي منذ زمن"

نظرت له بعيون واثقة تحرك شفتيها دون صوت:

"أحبك،ناجي"

خفق قلبه تأثراً ليحاول أن يشتت إنتباه عن إثارتها لجنونه يحيط كتفيها بحنان وهو يتوجه لشاب بوسامةٍ ملحوظة وعينين مختلفة عن أبناء الصعيد يماثلها عمراً. أو أكبر بقليل يحمل إبنتها بحرص ويسيطر على شقاوتها بهدوء وصبر

إقترب منهم هو الأخر بإبتسامة بشوشة وناجي يبادر قائلاً:

"هذا صديق لي،،أنهى العام الماضي سنته الأخيرة لقسم الصحافة،وأصر اليوم أن يأتي ليحضر معي حفل تخرجك"

ابتسمت عبير ببشاشة مرحبة بهدوء:

"مرحباً أستاذ تشرفت بمعرفتك"

بتحفظ وهو يغض بصره إلتفت الى إبنتها يخبرها:

"الشرف لي أنا،وبعد اذن ناجي أحببت أن أخبرك،أنى سعيد جداً لتحقيقك حلمك رغم زواجك المبكر"

تنحنح الشاب يخبرها:

"لا أقصد التدخل،ولكن ناجي أخبرني عندما كنت أخبره عن مشروع ما أسعى بكل جهدى لتحقيقه"

أومأت عبير سريعاً وهى تقول متذكره:

"نعم..لقد تحدثناً بالفعل عن الأمر،،وأنا أيضاً لا أستطيع أن أعبر لك عن سعادتي لوجود شاب مثلك،يحرص على تقديم مساعدة ويجازف بنفسه فقط من أجل أن ينقذ بعض الفتيات الصغيرات"

أومأ الشاب بهدوء وهو يناول طفلتها لأبيها قائلاً بحنان:

"(تيا) الجميلة إتفقنا أن لا تزعجي من حولك مرة أخرى وترفقي بأبيكِ قليلاً حلوتي"

لم يستطع ناجي منع ضحكاته وهو يراقب بعيون ذاهلي صغيرته تتشبث بصدر (بلدياته) وتُقبل وجنته بالقوة تخبره بطفولية محببة:

(أنت حلووو)"

حررها الشاب ضاحك بخفه وهو يقدمها لوالدها قائلاً:

"وأنتِ حلوة (تيا) ولكن عذراً يا صغيرة لن أستطيع مبادلتك إعجابك..فعشق الصغيرات لا يستهويني"

عبث ناجي وهو يخبره يدعى الضيق:

"مهلاً لحظة هل تحاول أن تتهمني بشيء هنا ؟!"

رفع الشاب يديه مدافع وهو يقول بنبرات مشددة:

"أبداً،،لم أقصدك،كما أن لك ظروف خاصة جداً كما علمت"

إقترب الشاب من ناجي يهمس بمرح متلاعب بجانب أذنه ولكن واثق:

"كما أنك لست كبير لهذه الدرجة يا رجل..تلك الهالة التي تُحيط نفسك بها منذ أن عرفتك ومهمتك ومكانتك المرموقة وسط أبناء الصعيد ،،هى ما تجعل الجميع يمنحك عمر فوق عمرك"

ودعهم الشاب عند أبواب الجامعة ليستقل سيارته الخاصة وينصرف..سمعت ناجي يخبره برتابة:

"لا أحد يملك قدره بيده،،ولا نعرف ما الذي يخبئ لنا القدر"

ضحك الشاب بثقة ليخبره بكبرياء وهو يلوح مودعاً:

"مهما حدث يا ناجي أنا لن أتزوج بقاصر أبداً ،،حتى وإن كان من أجل (العادات الخادعة)

صعدت عبير بجوار ناجي بحرص بعد أن أمن هو جلسة (تيا) فى المقعد الخلفي لتسأله مستفسرة:

"من هذا الشاب ؟"

رد ناجي وهو يدير السيارة ويتحرك بها:

"هذا من أخبرتك عنه،،صاحب مشروع دائرة الفتيات ،،(تليد جلال العماري)

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ليلاً

وقفت عبير على البحيرة الصناعية فى مزرعتهم الخاصة، الذي أتو اليها مباشرة ليقضي ثلاثتهم باقي اليوم بها ويحتفلو بطريقتهم بعد أن أمر ناجي بإنصراف الجميع منها ،،إقترب حافي القدمين عاري الجذع لا يرتدي إلا بنطال من الجينز إلتفت له وهى تلف نفسها بعبائته الأثيرة..تلاعبت بحاجبيها بشقاوة وهو تخبره بجذل:

"من يراك وانت بكامل هيبتك وتحفظك لا يصدق أبداً أنك نفس الرجل الذي بدلني الغرام المتهور بين أشجار الموالح"

ضحك وهو يقترب منها يشد عبائته ويفتحها ليلجأ هو اليها ويغلق طرفي العباءة على كليهما..همس لها بأنفعال:

"قولي لي يا قطعة السكر كلمتك التي ألقيتيها فى الحفل.."

ضحكت بصوت مدوي رنان..وتراجع بها ليلصقها بالشجرة من خلفها..تهمس بعشق وعيناها ينعكس بها نور الشمس الذى ينبثق من غسق الفجر فيضيف جو شاعري حالم..يماثل قصتهم التي خرجت من هنا الى النور بسحر ينشر أشعه دافئه لكل من حولهم..

همست له بصدق وجبهته تستند على جبهتها يشجعها بأبتسامته الخشنة الجذابة لعينيها:

"الى رجل كان لي أب روى روحي من أنهار عاطفته ،،الى رجل كان لي أخ ينقذني من تيه بين دروب مملكته الى..رجل كان صديق وحبيب زرع جذوري الضعيفة في أرضه،الى رجل فقط كان لي وطن.."

تمت بحمد الله

٢٠١٧/١/٢٩